الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

موسومة بـ:

التسامح الديني والفكري في الأندلس خلال عصر الطوائف (422هـ-484هـ/1031م-1092م)

إعداد الطالبات:

- لعرشي زهية.
- لعزيزي جميلة
- شداد أحلام

إشراف الدكتور:

* بوخاري عمر

لجنـــة المناقشة

د. الحاج عيسى إلياس	رئيـــــسا
د. بوخـــــاري عمر	مشرفا ومقررا
د. تريكي فتـــــيحة	مناقـــــشا

الموسم الجامعي:

(1439-1420هـ) الموافق لـ (2018-2019م)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

أولا وقبل كل شيء نتوجه بالشكر الجزيل وحمدنا الكثير لله سبحانه على إعانته وتوفيقه لنا لانجاز هذا العمل المتواضع، وإلى من نكن له الحب والتقدير والامتنان بالجميل والعرفان الأستاذ *بوخاري عمر* الذي كان سندا لنا ولم يبخل علينا ووجهنا بنصائحه القيمة التي أخذناها بعين الاعتبار.

وإلى كل أساتذة قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية ،لهم منا كل التقدير والاحترام.

دون أن ننسى التقدم بخالص الشكر إلى عمال المكتبة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية لما قدموه لنا من خدمات، ولكل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل

ولكم جميعا خالص شكرنا

ولله الحمد وحده الموفق وهو يهدي السبيل

إهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى الذين منحوني

الثقة بالنفس وعلموني الصبر والمسؤولية وأن

الحياة أولها كفاح وآخرها نجاح يا نبع الحب

والعطاء يا عطر الحنان سلطان أمي وأبي سلطان

حفظهما الله وأطال في عمرهما

إخوتي وأخواتي الأعزاء

إلى صديقاتي

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب

أو بعيد

وإلى كل الأحباب الذين لم يذكرهم قلمي

جميلة

أهدي هذا العمل إلى من غرس في نفسي حب العلم

والمثابرة في تحصيله

أطال الله عمرهما اللذان قال فيهما الله تعالى:

(ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا)

إلى امي التي تعبت في تربيتي وفرحت لنجاحي

إلى أبي الذي كابد المشاق من اجل إسعادي ونجاحي

إلى كل أساتذتي الذين أكن لهم التقدير والاحترام

إلى إخوتي الأعزاء

إلى من عرفت معهم معنى الصداقة

إلى أي من ساهم من قريب أو بعيد في هذا الجهد المتواضع

إلى كل محبي العلم والمعرفة

إهداء

إلى نور العيون والصدر الحنون

إلى البلسم الشافي والقلب الدافء إلى التي أحاطني

بسياج حبها إلى أروع ام في الوجود

أمي الحبيبة

إلى روح أبي الزكية الطاهرة اهدي ثمرة غرسه

إلى الذين قاسموني حنان الوالدين إخوتي: عبد

الجليل ومحمد أمين

إلى الذين جعلوا من الضعف قوة أساتذتي الكرام

إلى الضلال التي لا تفارقني صديقاتي الأعزاء: زهية،

جميلة، خيرة، فاطمة، نادية، بختة، آمال

إلى من ساهم من بعيد أو قريب في إنجاح هذا الجهد

المتواضع وفقهم الله

أحلام

قائمة المختصرات:

الاختصار	و ما يوافقه
تخ	تخريج
تح	تحقيق
تع	تعليق
تص	تصحيح
تق	تقديم
مر	مراجعة
تر	ترجمة
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
دت	دون تاريخ
د.ب	دون بلد النشر
مج	مجلد
ج	جزء
ع.د	عدد
ص p	صفحة PAGE
ت	توفي
م	ميلادي
هـ	هجري
ق	قرن
أ-ع-م	أطلع على الموقع
نل	نقل
د.م	دون مكان

مقدمة

مقدمة:

يعد موضوع التسامح الديني والفكري أحد أبرز المواضيع التي استهوت الكثير من الدارسين والباحثين، حيث أنفقوا جهودا مضنية في تبيين معالمه ومظاهره طيلة الفترة التي عاشها المسلمون في تلك الربوع.

أجل لقد قدم الأندلسيون نموذجا للتسامح والتعايش بين الشعوب والإثنيات من عرب وبربر وصقالبة ويهود ومستعربين وغيرهم لتنصهر ضمن وحدة اجتماعية تميزت بخصائص حضارية مشتركة وانسجام اجتماعي ملحوظ خلال عصر الطوائف، العصر الذي أعقب سقوط الخلافة الأموية سنة (422هـ-484هـ/1031م-1092م)، والجدير بالذكر أنه على الرغم من الفتن والتمزقات التي أصابت الأندلس إلا أن المجتمع الأندلسي تعاطى مع قيم التسامح الديني والفكري، ولم تمنعه تلك التشنجات التي ظهرت هنا وهناك بين العصبيات والإثنيات، وبرزت مع ذلك صور رائعة لأهل الأندلس في تعاليمهم مع النصارى واليهود وغيرهم.

من هنا تبرز أهمية موضوع التسامح الديني والفكري في الأندلس خلال عصر الطوائف، فهو يكشف لنا مدى تسامح ملوك الطوائف مع غيرهم من الديانات الأخرى و إبراز محطات التسامح فيما بينهم.

لعل من أبرز الدراسات السابقة التي تناولت مثل هذه المواضيع: الدراسة التي قام بها الباحث وهي عبارة عن مقالات تحت عنوان: الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح، احتوى على محطات التسامح مع أهل الذمة، بالإضافة إلى محمد البشير العامري: دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي، تحدث عن الجالية اليهودية والنصرانية داخل المجتمع الأندلسي، ضف إلى ذلك بعض المقالات، منها مقالة التسامح الديني والفكري بالأندلس للدكتور بخاري عمر، احتوت على مظاهر من الحياة الدينية والفكرية زمن الطوائف.

فالدافع الأساسي وراء دراستنا لهذا الموضوع هو رغبتنا في معرفة ما كان عليه المسلمون في الأندلس من سجايا التسامح والتعايش، اخترنا الموضوع وعقدنا العزم على خوض غماره بالصبر والمثابرة، وهذا يستدعي منا الوقوف على الإشكالية التالية: **ما هي أهم معالم التسامح الديني والفكري وانعكاساته على المجتمع الأندلسي؟**

وحتى تتحقق الإجابة الكافية لهذه الإشكالية عمدنا إلى تبيين المرحلة التي سبقت عصر الطوائف، وانطلاقا من هذه الإشكالية المحورية نطرح التساؤلات التالية:

-فيما تجلت مظاهر التسامح الديني في غرناطة؟

- ما مدى مساهمة أهل الذمة في الحياة الفكرية والثقافية والجوانب العلمية والمناظرات؟

- وهل كان لأهل الذمة نصيب في أشعار الأندلسيين؟

وللإجابة على هذه الإشكالية بتفرعاتها كان لزاما علينا اختيار المنهج المناسب فكان المنهج التاريخي التحليلي منهجا اعتمدنا عليه، وذلك من خلال تحليل النصوص التاريخية وسرد الأحداث وتوضيح الصورة حول المواقف التي حدثت في عصر الطوائف، بالإضافة إلى المنهج المقارن في بعض الحالات.

وحسب المادة العلمية التي تمكنا من جمعها قسمنا موضوعنا إلى خطة مكونة من مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة، مقدمة احتوت على تمهيد حول الموضوع، الفصل الأول عنوناه بالأندلس قبيل عصر الطوائف تضمن أربعة مباحث كانت كالتالي: العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي، والفتنة القرطبية، ودور العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي في الفتنة، وكذا أوضاع الاندلس خلال 399هـ-422هـ، وجاء الفصل الثاني بعنوان مظاهر التسامح الديني خلال عصر الطوائف احتوى على ثلاثة مباحث، النشاط الديني لأهل الذمة في الأندلس وطقوسهم الدينية في أشعار الأندلسيين، ومظاهر التسامح في مملكة غرناطة، اما الفصل الثالث والأخير تمثل في الصور من اللقاءات العلمية بين

المسلمين وأهل الذمة، ضم هو الآخر ثلاثة مباحث، تحدثنا فيه عن الردود العلمية، والمناظرات وانخراط أهل الذمة في الحياة الثقافية العامة، وتطرقنا في المبحث الثالث إلى أهل الذمة في أشعار الأندلسيين وخاتمة جعلناها تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها، وملاحق حول ما احتوته الدراسة.

وككل باحث أو طالب جامعي واجهتنا جملة من الصعوبات وهي: كثرة المادة العلمية وصعوبة التنسيق فيما بينها، وصعوبة الوصول إلى مراجع باللغة الأجنبية.

وقد اعتمدنا في موضوعنا هذا على جملة من المصادر والمراجع المتنوعة، والتي تفاوتت قيمتها العلمية من حيث احتوائها على المعلومات التي كان لها صلة بالموضوع، من بينها:

-مصادر التاريخ العام:

- كتاب بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لمؤلفه ابن عذارى المراكشي وهو من أهم مصادر تاريخ الغرب الإسلامي لما يتضمنه من معلومات ذات قيمة تاريخية معاصرة، وقد تناول تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى بداية عصر بني مرين، اعتمدنا على الجزاء الثاني والثالث الخاص بعصر الطوائف.

-كتاب ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون (ت808هـ-1406م)، اعتمدنا على الجزء الثالث في حديثنا عن العرب.

- كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، وما يجر ذلك من شجون الكلام للسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ/1374م) يعتبر موسوعة تاريخية عامة عظيمة الفائدة اعتمدنا عليه في حديثنا عن غرناطة.

-كتب التراجم والأنساب:

-الحلة السيراء لابن الأبار (ت 658هـ-1260م)، من أبرز المؤرخين والمحدثين والأدباء والشعراء، اعتمدنا عليه في حديثنا عن سقوط الدولة الأموية.

-الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم الظاهري، أفادنا في حديثنا عن المناظرات بين ابن حزم واليهودي ابن النغريلة.

مصادر جغرافية:

-معجم البلدان للحموي (ت 626هـ/1228م) يعتبر من المصادر المهمة في التعريف بالأماكن وتحديد المواقع خاصة فيما يخص مدن الأندلس.

بالإضافة إلى بعض المراجع نذكر منها: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي لحسين يوسف دويدار، أفادنا في معرفة مكونات المجتمع الأندلسي، ويهود المغرب الإسلامي لمسعود الكويتي اعتمدنا عليه عند تناولنا انخراط أهل الذمة في الحياة الثقافية، بالإضافة إلى مراجع أخرى سيتم ذكرها بالتفصيل ضمن قائمة البيبليوغرافيا.

ويضاف إلى قائمة المصادر والمراجع بعض الرسائل الجامعية منها: البربر في الأندلس في عهد الطوائف خلال القرن 5هـ/11م لبوخاري أعمر، أفادتنا في معرفة أحوال غرناطة خلال عهد الطوائف، مذكرة النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين لمحمد الأمين ولد آن اعتمدنا عليها في معرفة الحياة الثقافية لأهل الذمة وإسهاماتهم.

من خلال هذا كان علينا أن نلتقط ما يفيدنا في دراسة هذا الموضوع حتى نخرج بصورة نأمل أن تكون واضحة ويتبين لنا ما كان عليه من تسامح ديني وفكري زمن الطوائف.

الفصل الأول

الأندلس قبيل عصر الطوائف

المبحث الأول: العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي.

المبحث الثاني: الفتنة القرطبية.

المبحث الثالث: دور العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي

في الفتنة القرطبية.

المبحث الرابع: أوضاع الأندلس خلال الفترة 399-422هـ.

المبحث الأول: العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي.

لقد كان المجتمع الأندلسي يتكون من عدة أجناس مختلفة تمثلت في العرب والبربر والصقالبة والمولدين واليهود والموالي، كلها عاشت في ظل الحكم الإسلامي، يمثل العنصر العربي والبربري أبرز هذه العناصر.

أ-البربر:

هم أوائل العناصر التي وطأت أرض الأندلس وأكثرهم عددا، [1]قائدهم هو طارق بن زياد الذي تألف جيشه من سبعة آلاف في البداية ثم زاد عددهم إلى ما يقارب اثنى عشر ألفا.[2]

واستمرت الهجرات إلى الأندلس دون انقطاع وهذا يرجع إلى رغبتهم في نشر الإسلام والجهاد، وغنى الأندلس بالثروات، غير أن البربر لقوا في الأندلس متنفسا لهم ومخرجا لتحسين أوضاعهم المادية.[3]

فاستقروا في المناطق المشابهة لمواطنهم الأصلية إذ كانوا يميلون إلى سكن الجبال والصحاري لأنهم أصحاب إبل وماشية.[4]

ولقد تعايش البربر في المجتمع نظرا لتشابههم مع السكان الأصليين في المزاج والطبع كما أنهم لم تكن لهم لغة كاللغة العربية ولا عصبية كالعرب، تمنعهم من الامتزاج مع الآخرين، هذا ما جعلهم ينشرون الإسلام بين السكان الأصليين.[5]

---

[1] – محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر ميلادي/ الخامس الهجري، الدار التونسية للنشر، ص 27.

[2] – ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان وليفي بروفنسال، ج 2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ص 6.

[3] – عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1969، ص ص 123، 125.

[4] – ابن عذارى، المصدر السابق، ص 7.

[5] – حسين مؤنس، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية 711-756م، ط1، دار المناهل، بيروت، 2002، ص ص 429-430.

وهنا نقول أن البربر تعايشوا مع المجتمع الأندلسي وذلك بإتقانهم اللغة العربية، وسكنوا المناطق الجبلية والرعوية، وكان لهم دور فعال في نشر تعاليم الإسلام.

ب- العرب:

هم الأمة الراحلة الناجعة، أهل الخيام لسكناهم، والخيل لركوبهم والأنعام لكسبهم يقومون عليها ويقتاتون من ألبانها ويتخذون الدفء والأثاث من أوبارها وأشعارها ويحملون أثقالهم على ظهورها.[1]

لقد درس العرب منذ البداية طبيعة شعوب البلاد التي فتحوها وجندوا منها الأجناس التي لها مواهب طبيعية في فنون الحرب والقتال كالأتراك والبربر وغيرهم.[2]

دخل العنصر العربي الأندلس على شكل طوالع [3]، في مقدمتها طالعة موسى بن نصير 712م/ رمضان 93هـ على رأس جيش يضم ثمانية عشر ألف جندي من خيرة مقاتلة العرب بمختلف قبائلهم وفصائلهم من قيسية ويمنية.[4]

ثم بعد ذلك تعاقبت الطلائع، منها طالعة بلج بن بشر القيشري في 124هـ وأصبحوا يلقبوا بالشاميين[1]، للتفريق بينهم وبين الطلائع الأولى التي كانت مع الفتح والمعروفة بالبلديين [2] الذين جاؤوا

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج3، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، 1983، ص ص 179، 106.، ص 26.

[2] – أحمد مختار العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 2000 ، ص 49.

[3] – **طوالع**: يقصد بها جماعة عربية جاءت مع موسى بن نصير الذي قرر العبور سنة 93هـ/712م مصطحبا معه جيشا معظمه من العرب. ينظر: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 400.

[4] – عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص 59.

جاؤوا مع طارق بن زياد والذين بلغوا حوالي عشرة آلاف، ثمانية آلاف منهم من العرب وألفان من الموالي.[3]

وجاء عدد من الشاميين مع أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي سنة 125هـ/742م.[4]

ونلاحظ أن العرب في الأندلس اعتبروا أنفسهم أصحاب البلاد، واستوطنوا في المناطق ذات الخيرات كالأراضي والأنهار ومواطن الثراء، وقد شكل العرب عنصرا هاما ومحوريا ف المجتمع الأندلسي باعتبارهم الفاتحين الذين شكلوا قوة بشرية هائلة في الأندلس عن طريق هجراتهم المتتالية.[5]

ج- الصقالبة:

هم أولئك الأرقاء الذين ينتسبون إلى جنسيات أوروبية مختلفة، وكان الن خاسرون يحملونهم من شمالي أوروبا ويبيعوهم إلى عرب الأندلس عن طريق فرنسا، لذلك سموا بالسلاف esclave بمعنى الرقيق أو العبيد وعرّب عرب الأندلس اسم السلاف إلى صقلب ومنها صقلبي وصقالبة واطلق على أي عبد جلب من أية أمو مسيحية، وأصبح يستعمل للرقيق الأبيض على الإجمال.[6]

---

[1] - **الشاميين:** من القبائل العربية التي كانت ساكنة ببلاد الشام، أرسلها الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك إلى شمال إفريقيا للقضاء على تمرد البربر هناك. ينظر: خليل السامرائي وآخرون، تريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، (د.ت)، ص 74.

[2] - **البلديين:** هم الفاتحون الذين تغلبوا على دولة القوط الغربيين واستقروا مباشرة في الأراضي المفتوحة، وبشكل خاص على امتداد الطريق التي سلكها طارق وموسى بن نصير أثناء فتوحاتهما لشبه الجزيرة الإيبيرية. ينظر: خليل السامرائي وآخرون، المرجع نفسه، ص ص 64-65.

[3] - حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138هـ/422م، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط 1، 1999، ص 15.

[4] - خليل إبراهيم السامرائي، المرجع السابق، ص 75.

[5] - خميس بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف 400-479هـ/1009-1086م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف مسعود مزهودي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، باتنة، 2007/2006م، ص 42.

[6] - مريم قاسم طويل، مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح 443-484هـ/1051-1091م، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ/1994م، ص 68.

كذلك يعرفون بأسماء عديدة مثل الفتيان والخلقاء والخرس والخصيان والخرس لأنهم لم يكونوا يعرفوا لغة البلاد في بداية أمرهم فكانوا أشبه بالخرس.[1]

واستخدم الأمويين الصقالبة في الخدمة داخل القصور بصفة عامة وخدمة الحريم بصفة خاصة.[2]

وبدأ استخدامهم أيام عبد الرحمن الداخل وأخذ عددهم يتزايد لحاجة الأمراء الأمويين لهذا العنصر الأجنبي الذي تفانى في خدمة أمراء بني أمية حتى وصل عددهم في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى 3750 رجلا و 6750 من النساء، وقد لقوا عناية وحظوة أيام الأمويين حتى وصلوا إلى مناصب حساسة في السلطة.[3]

وبمجيء المنصور بن أبي عامر أبعد الموالي من الأمويين وكون طائفة تعرف بالفتيان العامرية أو الفتيان الصقالبة.[4]

وقد كان للصقالبة دور فعال في الفتن التي قامت بقرطبة وسائر بلاد الأندلس وكان خيران العامري هو الرأس المدبر والقائد لهذه المجموعات الصقلبية، وتلاشت الخلافة الأموية وانمحت ظهرت دويلات صغيرة في شرق الأندلس وتحالفت فيما بينها وسميت بالدولة العامرية الصقلبية.[5]

---

[1] – المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1388هـ/1968م، ج2، ص 342.

[2] – ابن الأبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار النشر دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985 ، ص ص 252-253.

[3] – المقري، المصدر السابق، ص 102.

[4] – عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510-546هـ/1116-1151م، دار المناهل، بيروت، ط1، 2002 ، ص60.

[5] – عمر بوخاري، البربر في الأندلس في عهد الطوائف خلال ق 5هـ/11م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، إشراف نصر الدين بن داود، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1435-1436هـ/ 2014-2015م، ص 40.

د–المولدون:

هم جيل جاء على إثر المصاهرة بين المسلمين وأهل البلاد، فهذه الفئة هي نتاج المسلمين عربا كانوا أم بربر من نساء إسبانيات مسيحيات وهم عناصر إسبانية أسلمت مع الفتح وبعده.[1] ويقال أن أول من تزوج بإسبانية هو عبد العزيز بن موسى أرملة لوذريق، [2] وتطلق عليها المصادر اسم أم عاصم.[3]

وقد رأى المولدون أنهم أقل مكانة من العرب ودونهم حظا رغم كونهم الأغلبية فكثرت بذلك ثوراتهم وانقلاباتهم على الدولة.[4]

وتعتبر طليطلة وغرناطة وإشبيلية وقرطبة من أهم مراكز المولدون، [5]وقد ساهم هذا العنصر شكل إيجابي في انتشار الإسلام وذلك عن طريق الزواج المختلط.

أطلقوا على السكان الأصليين اسم **عجم الأندلس** وعلى الذين أسلموا من أهل الذمة اسم المسالمة ثم أطلقوا اسم **المولدون**.[6]

وهكذا نرى أن المولدين شكلوا عنصرا خاصا ضمن المجتمع الإسلامي إذ أخذوا من المسلمين اللغة والدين والعادات وتمسكوا ببعض التراث الإسباني القديم مما جعلهم فئة مميزة في الأندلس.

هـ– المستعربون:

[1] – عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 128.

[2] – ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1980، ص 25.

[3] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 23.

[4] – رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، تر: حسن حبشي، ج 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دب، دط، 1994، ج1، ص 53.

[5] – صلاح خالص، إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت، دط، 1965، ص 31.

[6] – عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 127.

هم نصارى الإسبان الذين كانوا يحتكون بالمسلمين ويتكلمون اللغة العربية مع احتفاظهم بدينهم ومعتقداتهم، وقد شكلت هذه الفئة جمهرة سكان البلاد في السنوات الأولى بعد الفتح الإسلامي.[1]

واختلطوا بالمسلمين واتخذوا العربية لسانا ونهجوا نهجهم وتزينوا بزيهم وتسموا بأسمائهم وحتى طقوسهم كانت مختلفة عن أبناء ملتهم وتسموا بالطقوس المستعربة، كما أن بعضهم اعتنق الإسلام عن وعي وإدراك.[2]

وقد توزعوا بين الأرياف والمدن ففي المدن اختلطوا بباقي السكان وفي بعض الأحيان كانت لهم أحياء خاصة بهم ولهم مدافنهم الخاصة عند بوابات المدن.[3]

وقد ظل هؤلاء ينعمون بالحرية والحياة الكريمة مع الفئات الأخرى مدة طويلة إلى أن دخل المرابطين إلى الأندلس.

خ- اليهود:

هم طائفة من أهل الذمة كانت وضعيتهم في إسبانيا القوطية أكثر اهتزاز فقد عانوا ولوحقوا من طرف القوط، وحرموا من ممارسة شعائرهم الدينية بل وقعت مساومات حول تنصيرهم، ولعل الباحثون الإسبان يجعلون من تردي أوضاع اليهود سببا في اتصالهم بالمسلمين ومساعدتهم في فتح الأندلس.[4]

[1] - عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 130.

[2] - خميس بولعراس، المرجع السابق، ص 54.

[3] - خليل السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص ص 123-124.

[4] - عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 133.

كان اليهود يعيشون في المدن الرئيسية، ولكن بعيدا عن قصبتها، وبعد الفتح أجروا تغييرا، فحصروا مدينتها الأندلس فافتتحت فألقوا بها يومئذ يهود وتركوا معهم من المسلمين طائفة ففعلوا ذلك بغرناطة أين وجدت أكبر جالية بها.[1]

ولقد امتهنوا الحرف والمهن التي تدر عليهم المال الوفير كتجارة الرقيق والحرير والتوابل وكانوا لثرائهم يرسلون بعض أموالهم إلى إخوانهم من يهود المغرب والمشرق.[2]

تغيرت أوضاع اليهود تغيرا جذريا تحت حكم المسلمين إذ صاروا بصفتهم أهل ذمة يتمتعون بقدر وافر من الحرية جعلتهم فاعلين في كل مناحي الحياة إذ أصبح منهم الوزراء والسفراء وأهل الذمة ومارسوا التجارة التي فرضوا سيطرتهم عليها، ولعبوا دور الوساطة بين إسبانيا المسيحية والأندلس الإسلامية، كما أقاموا ثقافة يهودية أندلسية.[3]

كما أن اليهود تمركزوا في كل المناطق كغرناطة وإشبيلية وقرطبة، وشرقسطة وطرقونة.[4]

د- الموالي:

جاءت هذه الفئة مع ولاة بني أمية للأندلس، توافدوا بكثرة مع طالعة بلج بن بشر، الذي كان جيشه يتألف من ألفي مولى وثمانية آلاف من العرب.[1]

---

[1] – مجهول، أخبار مجموعة عن فتح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1981، ص 22.

[2] – حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 48.

[3] – نجاة هاشمي، عادات وتقاليد المجتمع الأندلسي خلال عهد الدولة الأموية 138-422هـ/756-1031م، إشرا مسعود مزهودي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2016/2015م، ص 19.

[4] – الإدريسي، المشتاق في اختراق الآفاق، تح: إبراهيم الأبياري، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دط، 1983م، ص 279.

وقد جاء عدد كبير منهم إلى الأندلس مع جيش موسى بن نصير سنة 97هـ وكان أغلبهم من البربر الذين دخلوا في طالعة بني أمية ومنهم بنو خليع وبنوا وانسوس، أما الباقون كانوا من أصل الشام والعراق وبلاد الفرس.[2]

وقد ازداد عدد الموالي حتى صارت دولة بني أمية لا تعرف إلا بهم، [3] وقد لعب الموالي دورا هاما في الأندلس حيث اعتمد عليهم بنوا أمية كثيرا وقلدوهم أهم المناصب لتفانيهم في الإخلاص لها فكان الوزراء والكتاب والقضاة والقواد، كما نجح الموالي فيما بعد في تفكيك وحدة الأندلس من خلال الثورات التي قاموا بها في سائر الأحياء بشق عصا الطاعة على بني أمية.

وهناك شخصيات من الموالي لمعت في أفق السياسة وتبوأت منزلة رفيعة في جهاز الدولة مثل: عبد الرحمن بن بخت أحد زعماء موالي المراونية، الذي عضد عبد الرحمن بن معاوية في تأسيس الدولة، ثم تنكر البعض منهم، وكانت نهاية دولتهم على يد أحد الموالي هو أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور.[4]

هذه هي أهم التركيبات العرقية التي ميزت المجتمع الأندلسي، وقد كانت مختلفة عن بعضها البعض، وهذا شكل خليطا من الأجناس، وقد ساهمت هذه العناصر فيما بعد في إذكاء نار الفتنة وهذا ما سنتعرض له لاحقا.

المبحث الثاني: الفتنة القرطبية وإسهامها في إسقاط الخلافة الأموية.

بداية الفتنة:

---

[1] – ابن القوطية، المصدر السابق، ص 29.

[2] – المصدر نفسه، ص 40.

[3] – عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 126.

[4] – عمر بوخاري ، الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة أكاديمية تعنى بالدراسات والبحوث في التاريخ والمجتمع، جامعة ابن خلدون، تيارت، ع8، 2015 ، ص 123.

إن الفتنة هي إحدى مظاهر الديكور السياسي للأندلس في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي والتي بدأت بواكرها إثر سقوط الدولة العامرية تاركة العديد من المشاكل والفوضى والأزمات المتلاحقة التي عرفت في تاريخ الأندلس بالفتنة القرطبية.

لقد أطلق الأندلسيون عليها اسم الفتنة البربرية نظرا للدور الذي لعبته العناصر البربرية في إذكاء نارها وهي تعتبر عن ذلك الخلاف الذي وقع بين فئتين من المسلمين البربر من جهة، والأندلسيين من جهة أخرى، وبخاصة أهل قرطبة حول منصب الخلافة رغم ما يجمع بينهما من روابط كالأرض والإسلام.[1]

تذهب أغلبية المصادر الأندلسية إلى تسميتها بالفتنة البربرية وتحمل البربر مسؤولية إشعالها وفي مقدمة من أشار بأصابع الاتهام إلى هؤلاء البربر المؤرخ الأندلسي ابن حيان الذي يعتبر البربر مسؤولين قبل غيرهم من إشعال فتيل الفتنة، وينسب إليهم ما لحق بالأندلس من التصدع والانهيار الذي انتهى بتقسيم البلاد إلى دول طائفية خلال القرن الخامس الهجري، كما في قول ابن حيان واعتدوا بعده على الخليفة في معنى الامتعاض منهم لعدوانهم على والده اعتداء صار إلى ما هم الآن بصدده من إبطال الخلافة وتفريق الجماعة والتمهيد للفتنة.[2]

فقد يكون ابن حيان نفسه اضطرب في تحديد مكان تاريخية للدولة العامرية وذلك بحكم كون هذا التاريخ في مركز وسط بين تاريخ دولة بني أمية والفتنة التي أسفرت عن قيام ملوك الطوائف، وباعتباره يعالج فترة تاريخية مستقلة قائمة بذاتها.

[1] – خميس بولعراس، المرجع السابق، ص 20.

[2] – عمر بوخاري، الإمارات البربرية الصغرى في جنوب الأندلس وعلاقتهم بملوك الطوائف، القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي، كنوز للنشر والتوزيع، د ب، دط، 2012، ص 38.

أما الفترة التي يعالجها كتاب أخبار الدولة العامرية بحيث أنها تنحصر بين ولاية هشام المؤيد [1] سنة 366هـ/976م ثورة محمد بن هشام المهدي على العامريين سنة 399هـ/1008م، وإطاحته بهذه الأسرة التي ظلت خلال القرن الماضي مستجدة بالسلطة حاجبة عنها الخليفة الشرعي.[2]

ذكر ابن عذارى أن السبب في قيام محمد بن هشام بن عبد الجبار [3] بثورته أن الذلفاء[4] أم عبد الملك المظفر بن أبي عامر وخطيبة المنصور اتهمت أخاه عبد الرحمان شنجول بالتدبير عليها وقتله أخيه المظفر فقدت عليه اغتياله وسعت في حتفه عند بني مروان عداة قومها بواسطة بشر الصقلي، من الفتيان العامرية المنحرفين عن عبد الرحمان شنجول.[5]

فأرشده هؤلاء إلى محمد بن هشام بن عبد الجبار الذي كان يتسم بالقوة والبأس بويع محمد بن هشام سرا ومال إليه خلقا كثيرا كانوا يبايعونه بأطراف قرطبة ثم واتته الفرصة عند خروج عبد الرحمان إلى الغزو ولم يبق في الزاهرة سوى فرقة قليلة.

---

[1] – **هشام المؤيد:** أمير المؤمنين المؤيد بالله هشام بن الحكم، وبويع له بالخلافة صبيحة يوم الإثنين لخمس خلون من صفر سنة ستة وستين وثلاثمائة ومولده في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس)، تح: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2011، ص 15.

[2] – ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، دط، 1415هـ/1994م، ص 64.

[3] – **محمد بن عبد الجبار:** هو أبو الوليد محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمان الناصر لحادي عشر من ملوك بني أمية بالأندلس، آثار على هشام المؤيد فخلعه سنة 399هـ، وتسمى بالمهدي هزم البربر بقيادة هشام بن سليمان المستعين الحميدي. ينظر: الحميدي ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح و تع: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008، ص 38.

[4] – **الذلفاء:** هي أم عبد الملك المظفر وخطيبة المنصور بن أبي عامر سعت للقضاء على عبد الرحمان شنجول اعتقادا منها أنه هو الذي دس سم إلى ابنها المظفر. ينظر: أبو زيدون وديع، تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة، دار النهضة، بيروت، ط4، 2011، ص 100.

[5] – **شنجول:** اسم غلب عليه من قبل أمه عبدة بنت شانجة النصراني الملك تذكرا منها اسم أبيها فكانت تدعوه في صغره شنجول وكان أشبه الناس بجده شانجة. ينظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 38.

وفي 16 جمادى الأخيرة سنة 399هـ/1009م تمكن محمد بن هشام من الوثوب ونجح رجاله في اقتناص المدينة عبد الله بن عامر.[1]

أبرز ابن عذارى نصا صريحا، استلهمه في حقيقة الأمر من الوقائع التي مهدت للفتنة حيث كان ابن هشام السهد الذي لم يخطئ المروانيون به عندما صوبوه نحو العامريين، [2] وفي هذا يقول ابن عذارى: "فكان هذا ما فعل السفينه ابن عبد الجبار ورأيه بسبب الفساد والفتنة الطويلة التي يسميها أهل الأندلس بالفتنة البربرية ولو سموها بفتنة ابن عبد الجبار فكان اللاحق والأولى"[3]

كما نسج المفدي التلمساني حيث ألقى اللوم على محمد بن هشام في إشعال نار الفتنة قائلا: "لقد كان قيامه مشؤوما على الدين والدنيا فإنه فاتح أبواب الفتنة بالأندلس وما هي معالمها حتى تفرقت الدولة وانتشرت السلك وكثر الرؤساء وتطاول العدو إليها وأخذها شيئا فشيئا حتى محى اسم الإسلام منها"[4]

وتفنيد لهذه الطروحات هناك نصان في غاية الأهمية يمكن أن تتجسد من خلالها الحقيقة التاريخية.

فالنص الأول لابن عذارى المراكشي الذي يعرض فيه هذه الحقيقة على النحو التالي: "كان البربر إذا دخلوا أسواق قرطبة تخوفوا من العامة، فإن صهل فرس على فرس نفرة لتعصب العامة عليهم وبعضهم فيهم وهم مع ذلك صابرون ينهون سفهاءهم وعبيدهم أن يمد أحد منهم يده إلى أندلسي"

[1] – وناس خالدية بوطاقة عائشة، سياسة الأمويين نحو دول المغرب على عهد هشام المؤيد 366-403هـ/976-1013م، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر، إشرا الأستاذة سموم لطيفة، 2015/2014، ص 56.

[2] – عمر بوخاري، المرجع السابق، ص 90.

[3] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 76.

[4] – عمر بخاري، المرجع السابق، ص 90.

أما النص الثاني فهو لابن الخطيب الذي يقول فيه: "و أعلن ببعض البرابرة وتنقصهم جهلا بمحلهم من البأس والعصبية"[1]

فعني بذلك بأن مراجل الغضب والتعصب ظلت خامدة لدى البربر إلى أن أيقضها المهدي بالسب والاحتقار لهم وإعلان الحرب عليهم.

وعلاوة على ذلك فإن محمد بن هشام بن عبد الجبار هو من وضع حدا للأسرة العامرية وعزل هشام الثاني أحد رموز الخلافة الأموية.[2]

وهذا المهدي بويع له في دولته الأولى إذا اتسع له الأمر بقرطبة فلما أخفى هشاما وأشاع أنه قد مات انصرفت عنه نفوس الموالي والخواص واضطربت عليه بنوا أمية فكان قد أخذ جندا من العامة وأطراف الناس وقربهم، وآثرهم على العبيد العامرية وعلى الطوائف البربرية فالتفت منهم طائفة وقاموا على المهدي المذكور مع هشام بن سليمان وكان بقشندة وهو عم سليمان القائم معهم بعده وسموه بالرشيد ورجعوا معه إلى القصر بقرطبة وحاصروا فيه المهدي يوما وليلة ثم كانت الكرة للمهدي عليهم، وقتل الرشيد وفرق ذلك الجمع فأحال يومئذ المهدي على ما كان بقرطبة من البربر عامة فانهالوا عليهم قتلا وأسرا.[3]

وبالتالي فرّ المهدي من قرطبة مستترا، وكان لما شرع بقرب سليمان مع البربر والنصارى، ورأى تغير الناس عليه رد هشاما المؤيد بالله إلى القصر رجاء أن يتماسك له الحال به ويأتي إليه إلا ما يريد.[4]

كما قامت مذبحة بشعة قتل فيها عددا كبيرا من البربر واضطروا إلى الخروج من قرطبة إلى الثغر وانظم إليهم سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ولذلك سمى سليمان عند أهل قرطبة

[1] – عمر بخاري، الإمارات البربرية الصغرى في جنوب الأندلس وعلاقتهم بملوك الطوائف، ص 39.

[2] – المرجع نفسه، ص 40.

[3] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 51-52.

[4] – المصدر نفسه، ص 52.

بإمام البربر فاجتمعوا إليه وله عليهم وعقدوا له الخلافة في شعبان 399هـ في موضع يعرف بصلب الكلب وتسمى بالمستعين بالله فكان البربر ينوون بذلك شرا، فقد عقدوا العزم على فتح قرطبة وإسقاط المهدي.[1]

وبالتالي اجتمع البربر عن ذلك فقدموا على أنفسهم سليمان بن الحكم [2] وهو ابن أخ هشام القائم المذكور فنهض بالبربر إلى الثغر واستجاش النصارى وأتى بهم إلى باب قرطبة نيف وعشرون ألف رجل، في جبل هناك يعرف بجبل فنطش، وهي الوقعة المشهورة، ذهب فيها من الخيار والفقهاء وأئمة المساجد والمؤذنين خلق كثير.[3]

واستتر محمد بن هشام المهدي أياما ثم لحق بطليطلة [4]وكاتنت الثغور كلها من طرطوشة إلى لشبونة باقية على طاعته ودعوته واستجاش بالإفرنج [5]، وأتى بهم إلى قرطبة، فبرز إلى سليمان بن الحكم مع البربر إلى موضع بقرب قرطبة على نحو بضعة عشر ميلا يدعى (ذر البقر) فانهزم سليمان

---

[1] – السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، المرجع السابق، ص 4.

[2] – **سليمان بن الحكم:** هو بن سليمان بن عبد الرحمان الناصر الملقب بالمستعين بالله الذي دخل قرطبة كما تقدم في ربيع الآخر سنة 400هـ فتلقب حينئذ بالظافر مضافا إلى المستعين بالله، ثم خرج عنها في شوال من السنة بعينها فلم يزل يجول بعساكر البربر معه في بلاد الأندلس، يفسد وينهب ويقفر المدائن والقرى بالسيف والغارة. ينظر: محمد عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ت: صلاح الدين الهواري، ط 1، شركة البناء شريف الأنصاري، المكتبة العصرية، دار النموذجية، بيروت، (ط1)، 1426هـ/2006م، ص 40.

[3] – المصدر نفسه، ص 40.

[4] – **طليطلة:** تمثل طليطلة عاصمة الثغر الأدنى المتاخم للممالك المسيحية وهي عاصمة القوط القديمة قبل الفتح العربي الإسلامي للأندلس. ينظر: عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91-197هـ/710-1492م)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (ط1)، 1423هـ/2002م، ص 221.

[5] – **الإفرنج:** اسم لسكان بأوروبا ما عدا الأروام والأتراك وهي معرب فرنك أي حر والواحد إفرنجي والأنثى إفرنجية، وقال البعض أنها من الأصل الألماني وتعود لاسم شعب جرماني استولى على غالبية (فرنسا حاليا) ، ويقصد بالإفرنج الصليبيين وسميت تلك الحروب بالصليبية، تسمية أوروبية أطلقها مؤرخوا أوروبا لجعلها حروبا دينية مقدسة، اما المؤرخون العرب والمسلمون في ذلك الوقت فأطلقوا عليها اسم الفرنجية أو الإفرنجية نسبة إلى فرنسا لأن أول طلائع الحملات الأوروبية على المشرق الإسلامي كانت بقيادة زعماء وقادة فرنسيين. ينظر: أنور محمود زناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، دار الزهران، عمان، الأردن، ط1، 2003 ، ص 31.

والبربر واستولى المهدي على قرطبة، فكانت مدة ولاية المهدي منذ أن قام إلى أن قتل سبعة عشر شهرا، من جملتها الأشهر الستة التي كان فيها سليمان بقرطبة.[1]

وبالتالي فإن الحرب الأهلية بالأندلس عقب سقوط الدولة العامرية في سنة 399هـ بين أمراء بني أمية وظاهر البربر حدهم وهو سليمان بن الحكم بن عبد الرحمان الناصر فزحفوا على الزهراء واقتحموها وخربوها ثم حاصروا قرطبة حتى سقطت في أيديهم وارتكبوا فيها رائع السفك واستولى زعمائهم على معظم قواعد الأندلس الجنوبية ومنها غرناطة وقامت من ذلك الحين دول الطوائف.[2]

[1] – محمد عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 40.

[2] – لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1393هـ/1973م، ج1،ص 93.

المبحث الثالث: دور العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي في الفتنة.

لقد تعرض عصر الإمارة الأموية إلى العديد من الثورات والفتن الداخلية التي كانت تقوم بها مختلف العناصر التي تألف منها المجتمع الأندلسي الجديد واشترك في هذه الفتن الفاتحون الذين كانوا يتألفون من القبائل العربية والبربرية، كما ساهم فيها أيضا أهل البلاد الأصليون سواء منهم الذين دخلوا الإسلام كالمولدون، أم من بقي على دينه وتثقف بالثقافة العربية كالمستعربين، وهذه الأجناس لم تندمج بعضها البعض ، فقد حاولت التمرد والانشقاق ومحاولة الاستقلال، وسوف نتطرق فيما يأتي إلى أهم الثورات والفتن التي سادت أواخر عهد الإمارة الأموية.

ثورة القبائل العربية:

لقد كانت معاملة الأمويين تجاه العرب، يوجد فيها نوعا من الإهانة لهم، وعندما أضرم المولدين نار الفتنة في الثغر الأعلى وفي المناطق الجنوبية، وجدت هذه القبائل الفرصة سانحة للانتقام لكرامتها[1] وابتدئوا الثورة، فمن الثوار العرب نجد: عمر بن أضحى الهمذاني: كان من وجهاء العرب ومقدميهم في كورة أبلبيرا*[2] تزعم واستقل برضى وموافقة الأمير عبد الله، وبقي كذلك حتى أيام الأمير عبد الرحمن الناصر.

ابن العطاف العقيلي [3] عاصر ثلاثة من أمراء بني أمية، كان من المقربين من الأمير محمد كان أديبا شاعرا، بليغا يخطب في الأعياد ومجالس المحافل[4].

---

[1]-محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، دط، 1969، ج1،ص 128.

[2]-***كورة ألبيرا:** في القرن التاسع للميلاد تقابل تقريبا من ناحية حدودها، ومناطقها الجغرافية إقليم غرناطة الحالي في جنوب مملكة اسبانيا، كانت مدينة ألبيرا القديمة البناء، العريقة الماضي، أهم حواضر الكورة وقاعدتها ومقر حكمها قبل وصول الإسلام، ولهم تقاليد في النصرانية وتأصلت فيها المسيحية وكانت مقر المجمع المقدس أقامته الكنيسة في سنة 300م، ينظر: عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 307.

[3]-ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص 376.

[4]-المصدر نفسه، ص 376.

بنو حجاج في إشبيلية:

ماشذت اشبيلية ثاني أكبر مدن دولة الإسلام في إسبانيا بعد العاصمة قرطبة عن خط الفتنة والفرقة، فانزلقت منذ بداية عصر الأمير عبد

الله نحو صراع بين أبنائها تواجه فيه بشراسة وحقد لسنوات طويلة فريقان من أبنائها [1] وكانت الزعامة لعائلتين: بني حجاج اللخميين وبني خلدون، كان كريب بن خلدون أول من رفع لواء الثورة سنة 276هـ-889م، وثار المولدين ضد العرب اليمنية لمقتل أحد كبيرهم، وتحرك بني الحجاج في نفس الوقت بقيادة إبراهيم بن حجاج، مما أدى إلى إضراب حبل الأمن في اشبيلية وما جاورها[2].

وأمام تطور الصراع بين المولدين والعرب في اشبيلية، رأى الأمير عبد الله إرسال حملة حملة عسكرية بقيادة المطرف سنة 282هـ-895م، نجح مطرف في إخضاع الثائرين بعد معركة عنيفة، قتل فيها منهم خلقا كثيرا وأسر كثيرين من زعماء الفتنة العرب [3] مثل إبراهيم بن حجاج وكريب بن خلدون واتفقوا أن يحكموا اشبيلية مناصفة إبراهيم بن حجاج وكريب بن خلدون ثم افرد بها إبراهيم بن حجاج بملك اشبيلية الذي تحالف مع ابن حفصون [4] فتخوف الأمير عبد الله من ذلك، ثم عاد إبراهيم إلى ما كان أولا عليه، من الطاعة واستقامت أحوال تلك النواحي على يديه[5].

ثورة البربر:

كانت للبربر حركاتهم الخاصة بهم ضد السلطة الأموية، ومن الذين ثاروا نذكر بنو موسى بن ذي النون: استقرت عائلة بني ذي النون البربرية منذ بداية الفتح بمدينة شنت برية Santaver بالذات مقرها، وفي 284هـ-97م اتسع نفوذ موسى، عمرت المدينة بالحصون والقلاع وازدهرت

[1]-عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص ص 301-302.
[2]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج1، ص 128.
[3]-عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 305.
[4]-ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 126.
[5]-المصدر نفسه، ص 126.

تجارتها وزراعتها وكثرت ثرواتها[1] وظلوا بني ذي النون يرفعون لواء الخروج على سلطان قرطبة حتى مجيء الأمير الناصر.

عمر البنزوقي المعرف بالملاحب:

ثار في كورة جيان وكان في الأصل جنديتا من جنود عامل المدينة فغدر به واستقل بحكم قصبة المدينة، أرسل الأمير عبد الله له قائده محمد بن أبي عبدة الذي تمكن من هزيمته وأسره وحمله إلى قرطبة[2].

خليل وسعيد ابنا مهلب:

كانا من وجوه ومقدمي البربر في كورة ألبيرة، تأثرا بالجور العام الشديد الاضطراب، في منطقتها بسبب الصراع بين العرب والمولدين واستقلا كل منهما في حصن له دون أن يخلعا طاعة الأمير عبد الله قاتلا ابن حفصون أكثر من مرة فأقرهما الأمير على ما بيدهما، توفي خليل في أيام الأمير عبد الله واستنزل الأمير عبد الرحمن الناصر سعيدا[3].

ثورة المولدون:

لقد كان المولدون يطمحون إلى وضع اجتماعي وسياسي أفضل، وذلك بمشاركة العرب الحكم والسلطان، ثم تحول موقفهم إلى التمرد والاستقلال عن السلطان بني أمية في قرطبة [4]، فثاروا في مناطق غير قرطبة، اندلعت ثورتهم في مدينة طليطلة التي لم تعرف الهدوء، في ظل بني أمية كانت بلدا يدين بالمسيحية قبل أن يدخلها المسلمون وكان الراغبون في الخروج من الطاعة يستطيعون دائما الاستعانة

[1]-عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 300.

[2]-المرجع نفسه، ص 300.

[3]-عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 259.

[4]-السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص 121.

بأمراء النصرانية في الشمال [1] وكان أهلها يعتزون بثروتهم أيضا ويساهمون في الكثير من الفتن ضد حكومة قرطبة ويتحينون الفرص دائما لشق عصا الطاعة والاستقلال بمدينتهم [2]، أعلنوا الثورة أيام الحكم الأول وشجعهم المستعربون تزعمهم رجل يسمى غريب بن عبد الله ظل يناوئ الحكم فلم يتمكن الأمير من القضاء على الحركة إلا بعد وفاة غريب، وأنزل بهم مذبحة[3].

وكذا عمروس، الذي أقام وليمة كبيرة دعا زعماء وكبار الشخصيات، وقد أوهمهم عمروس أنهم إذا انتهوا من طعامهم خرجوا من باب غير الباب الذي دخلوا منه، قتلوا كل الداخلين دون أن يشعر الباقون، وبلغ عدد القتلى نحو سبعا مئة رجل[4].

ويذكر ابن قوطية بأن عدد القتلى عددهم خمسة آلاف وثلاثمئة رجل[5].

ومنهم أيضا خير بن شاكر: كان من المتعصبين لفئة المولدين و من أوائل ثوارهم، رفع لواء العصيان منذ بداية أيام الأمير عبد الله بن الحكم، ثم ظاهر ابن حفصون وتحالف معه منذ سنة 277هـ-890م، وبعد فترة قصيرة قتله جماعة من أنصار وحلفاء ابن حفصون الذي أرسل رأسه إلى الأمير عبد الله تقربا منه ورغبة باسترضائه[6].

ثورة عمر بن حفصون:

اعتبر الأمير عبد الله منذ بداية حكمه وبصورة دائمة أن أخطر ما يتهدد سلطان الدولة الأموية في الأندلس هي ثورة ابن حفصون في جنوبي البلاد[7]، والتفت حوله جماعة من المولدين وذلك

---

[1]-محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي نهاية دول الطوائف الثورات والحروب في بلاد الأندلس، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2011، ص 37.

[2]-السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص 121.

[3]-محمد العيدروس، المرجع السابق، ص 37.

[4]-السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص 122.

[5]-ابن القوطية، المصدر السابق، ص 48.

[6]-عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 293.

[7]-المرجع نفسه، 294.

وذلك في سنة 267هـ-880م، أخذ بمهاجمة الجهات المجاورة لمنطقته والتوسع في الإغارة حتى وصل إلى المناطق الغربية من قرطبة ذاتها [1] بعدما كان ابن حفصون مطيعا للدولة الأموية ما لبث أن مد يده إلى ما نهي عنه، واستولى على أهل الكور في أموالهم وواصل على عاداته الذميمة والفساد وقطع السبل[2].

وفي سنة 287هـ-891م استمد الأمير عبد الله من إيمانه القوي، وصمم على أن يواجه للثأر ضربة قاضية، كانت مواجهة بين الفريقين انتهت بهزيمة الثائر وهربه مع بع ضاتباعه، وأسروا حوالي ألف رجل، وتمكن ابن حفصون من الهرب، ولقد كانت هزيمة ابن حفصون ما تمكن أن يتخلص منها ومن آثارها حتى نهاية حياته[3].

وزفي سنة 286هـ-899م، أقدم عمر بن حفصون على خطوة جريئة في مسيرته في حروب الثورة والرفض لدولة الإسلام في الأندلس، أعلن ارتداده عن الإسلام ولم يعد مواطن متمرد، وإنما بات في منزلة من تجب محاربته بسبب ارتداده عن الإسلام، وأصبح عدوا للدين الإسلامي بعد أن كان عاصيا للدولة، وقد انفض من حوله عدد كبير من مؤيديه وأنصاره من المولدين الذين اثبت هذا الحادث عمق تحولهم نحو الإسلام وقبولهم لهذا الدين عن قناعة وبعاطفة لا حدود لها، لقد ثاروا ولكن ثورتهم كانت ضمن الإسلام[4].

ثورة المستعربين:

[1]-السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص 127.

[2]-ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 122.

[3]-عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 298.

[4]-المرجع نفسه، ص ص 298-299.

من الغريب أن يمتد لهيب الفتنة إلى طائفة المستعربين الذين ظلوا على دين أبائهم، واستعربوا لسانا وحضارة وعقلية ونعموا في عهد الحكم الإسلامي لما لم ينعموا به من قبل من حريات دينية ومدنية[1].

ولم يقم المستعربون بحركات عنف والتمرد على الدولة الأموية في الأندلس على نطاق واسع، ولكن بعضهم شارك في فتن المولدين[2].

بحيث عبروا عن الثورة والتمرد باتخاذهم شكل الاستشهاد، وقد عبروا عنها بالتحول عن معارضة الثقافة العربية وحضارة العرب إلى مهاجمة الإسلام وبني المسلمين وسبهما علنا في الساحات العامة والشوارع[3].

تزعم هذه الحركة راهب اسباني يدعى أولوخيو، كانت دعوته دينية وطنية تهدف إلى إحياء الحس القومي عند المستعربين كطريق لمحافظتهم على النصرانية [4]، ضف إلى ذلك راهب يدعى ألفارو من أهل قرطبة يؤلب الناس ويثيرهم حتى امتلأت قلوبهم بالحقد على الدولة والرغبة في التخلص منها[5].

فحكومة قرطبة خشيت سوء عاقبة الحوادث، فلم تجد مناصا غير معاقبة هؤلاء بالموت، هذا ما جعل الكثير من النصارى المتدينين من هزتهم الصدمة وأثارت في أعماقهم الحقد والكراهية ضد حكام البلاد المسلمين[6].

---

[1]-محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص 38.

[2]-السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص 123.

[3]- عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 233.

[4]-المرجع نفسه، ص 234.

[5]-محمد حسن العيدروسي، المرجع السابق، ص 39.

[6]-عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 235.

ومع الوقت صارت فكرة الاستشهاد نفسها تتراجع تدريجيا إلى أن قضي عليها الزمن وعلى كل أثر لها، والواقع أن هذه الحركة، على سلبيتها أربكت الدولة الأموية لفترة طويلة، وكشفت ضعف اللحمة بين عناصر المجتمع الأندلسي المختلفة وأعاقت حركة الاستعراب، وأحيت في ضمائر الإسبان النصارى ولو لحين مفاهيم ومثل دينية ووطنية ولغوية في بلاد الأندلس، كانت تسرع نحو الأفول[1].

وهذه هي أهم الثورات الداخلية وحركات التمرد والعصيان التي قامت بها مختلف العناصر العرب والبربر والمولدون والمستعربون الذي أثر على وحدة البلاد فيما بعد.

المبحث الرابع: أسباب سقوط الخلافة الأموية بالأندلس (311هـ-229م).

قامت الخلافة في الأندلس متأخرة زمن عبد الرحمن الناصر 316هـ-229م، وذلك نتيجة الظروف السياسية التي أحاطت بالأندلس[2] في ذلك الوقت،

وفي عام 421هـ-1031م سقطت الدولة الأموية بعد عزل آخر خلفائها هشام الثالث المعتد بالله، وطرد من تبقى من آل مروان من قرطبة، وقد كان إعلان مجلس أعيان وشيوخ قرطبة وكبيرهم الوزير أبو حزم بن جهور بانتهاء الخلافة لعدم وجود من يستحقها تأكيدا على انقسام الأندلس لإمارات مستقلة وذهاب حكم الخلافة المركزية في قرطبة*.

وبويع لهشام المؤيد بالخلافة في 03 صفر 316هـ (أول تشرين الأول 1927م) وقد يكون الغلامان الصقليان اقترحا هشام خوفا أن تصبح الدولة تحت قبضة جعفر المصحفي، ومحمد بن أبي

---

[1]-المرجع نفسه، ص 239.

[2]-**الأندلس**: مدلول كلمة 'الأندلس' الحقيقي ومتداول حتى اليوم، فيقصد به جزء فقط من اسبانيا، وهو ذلك الجزء الممتد إلى الجنوب منها، وأطلق هذا المدلول أول الأمر على شبه الجزيرة إيبربة-كلها وهي تقع جنوب غرب أوربا، ينظر: عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دط، 1997، ج2، ص 104.

*-**قرطبة**: تعتبر قرطبة حاضرة الأندلس، مركزها الفني أعقاب الفتنة البربرية التي انتهت بسقوط الخلافة وانكماش رقعة عمرانها، ومع ذلك ظلت قرطبة تحتفظ من ازدهارها في مجال الغناء والموسيقى وفي أواخر عصر الطوائف ظهر بقرطبة موسيقي شهير وهو إسحاق بن سمعان اليهودي، كان صديق لابن باجة، واشتهر بتأليف الألحان من كل الأساليب، عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، المرجع نفسه، ص 104.

عامر لما يعرفانه من اثر الأول على الخليفة الصغير، وعلى محمد بن أبي عامر إذ يؤدي ذلك إلى زوال نفوذ الصقالبة[1].

ولقد أشار المصحفي إلى ذلك وهو يعرض الأمر على رجال الدولة والجيش، إذ قال لهم إذ أولي المغيرة واستبد الصقالبة بالأمر قضي عليهم وعلى دولتهم ونفوذهم، وكانا هذان الأخيران (عفر المصحفي، ومحمد بن أبي عامر) يتصرفان ويعملان معا بإحباط مشاريع خصومهما واستبعاد ولي العهد عن منصب الخلافة، وتوليه رجل آخر في بيت الخلافة[2].

أما قبل ذلك التاريخ مرت الأندلس في دورين أساسيين:

الدور الأول:

تمتد من سنة (93-131هـ/7//-759م) منذ الفتح الإسلامي للأندلس إلى قيام الدولة الأموية بها، وفيه كانت الأندلس إمارة غير مستقلة وغير وراثية، بمعنى أن أمير القيروان هو الذي كان يعين ولاة الأندلس في غالب الأحيان[3].

الدور الثاني:

تمتد من سنة (131-311هـ/751-929م) أي منذ مجيء عبد ارحمن الأول (الداخل) للأندلس، وينتهي بإعلان عبد الرحمن الثالث* نفسه أميرا للمؤمنين وتلقبه بالناصر لدين الله، وفي هذا الدور كانت الأندلس إمارة وراثية مستقلة سياسيا عن خلافة المشرق العباسية[4].

---

[1]-أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسات العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، دت، ص 58.

[2]- أسعد حومد، المرجع السابق، ص 58.

[3]-عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، المرجع السابق، ص 59.

*-**عبد الرحمن الثالث:** المؤسس الثاني للدولة الأموية في الأندلس وهو لا يتجاوز الثانية والعشرين، بعد أن قضى على الفتن والثورات، ولقب نفسه 'الناصر لدين الله' وتوفي سنة 350هـ-961م. ينظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص130.

[4]- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، دط، ص 155.

أما نظام الخلافة الأموية في الأندلس كان نظام يقوم على أساس التوريث، ويستند على السياسة أولا ثم الدين ثانيا، ومنه تختلف عن خلافة الإسلام الأولى أيام الخلفاء الراشدين التي كانت تقوم على أساس الشورى والانتخاب[1].

أما من الناحية الروحية من كلام بعض المؤرخين أمثال ابن الكردوس وابن أبي دينار أن جميع أمراء بني أمية الذين حكموا الأندلس قبل عبد الرحمن الناصر قد دعوا في خطبتهم الدينية لخلفاء بني العباس ببغداد رغم العداء السياسي الذي كان قائما بين هاتين الدولتين، فقال في هذا الصدد: "وكان –أبي الناصر– من تقدمه من أبائه يخطبون لبني العباس"[2].

ولقد قام الأمير الأموي محمد بن هشام بن عبد الجبار 'فتى بني أمية' [3] بالدعوة لنفسه، منتهزا غياب الحاجب عبد الرحمن شنجول 399هـ-1011م عن قرطبة، في إحدى غزواته، فثار مع نفر من أصحابه وقاموا بالاستيلاء على مقاليد السلطة[4]، وقد قاموا بالإستيلاء على قصر الخلافة بقرطبة، وأرسل الأمير الأموي محمد بن هشام بن عبد الجبار إلى الخليفة المزيد بأمره بخلع نفسه فاستجاب له الخليفة هشام[5] وتنازل له عن الخلافة، فقام الوزراء والفقهاء بمبايعة الأمير محمد بن هشام الذي تلقب بألقاب الخلافة وحمل لقب المهدي ولم يدخل أحد من بيعته.

فعمد الإساءة إلى البربر والبطش بهم وعمد هذا الأخير (المهدي) إلى إخراج حوالي سبعة آلاف جندي من الجيش وأمر بقطع أرزاقهم وإسقاطهم من ديوان العطاء[6].

ولقد أحسن الأمويون معاملة أبي هشام لهم وبصعوبة يتتبعون حركاته وسكاناته [1].

---

[1]–ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 392.

[2]– أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه، ص 59.

[3]–ابن الخطيب، أعمال الأعلا م في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ط1، 2004، ص 142.

[4]–ابن عذارى، البيان المغرب، ج3، ص47.

[5]–ابن الآبار، المصدر السابق، ج1، ص 44.

[6]–المصدر نفسه، ص 47.

أما الخليفة هشام، فقد سجن مع أهله لبضعة أيام في الجامع يعيش على الصدقة، ثم أبعد عن قرطبة وانتهى به المطاف إلى سليمان الجذامي المتغلب على مدينة لاردة وسرقسطة والفزاعة وطرطوشة، فأكرمه وبقي عنده حتى توفي في صفر سنة 432هـ/1037م، ودفن بناحية لاردة فكان آخر خلفاء الأمويين، وبخلعه انتهت الدولة الأموية بالأندلس وقامت على أنقاضه دول الطوائف[2].

أسباب سقوطها:

وأيضا هناك الكثير من العوامل التي أدت إلى السقوط منها ما يتعلق بطبيعة التركيب السكاني للمجتمع الأندلسي في أواخر عهد الخلافة، ومنها كذلك ما يتعلق بطبيعة النظام السياسي الإسلامي في الأندلس وبالرغم مما وصلت إليه بلاد الأندلس من تقدم وخاصة في عهد الخليفة عبد الناصر، إلا أنها لم تتمتع باليد المتكافئة في الحكم والإدارة [3] بسبب سياسة هذا الأخير (عبد الرحمن الناصر) الاستبدادية من تركيز السلطة في يده والاستعانة بالمرتزقة من الصقالبة.

وذلك للقضاء على نفوذ الأرستقراطية العربية في الحكم وإضعاف سيطرة الجند والعرب والبربر[4].

-فماهي الأسباب الحقيقية التي أدت إلى انهيار وسقوط الخلافة الإسلامية في قرطبة؟

هناك الكثير من الأسباب والعوامل التي أدت إلى السقوط منها ما يتعلق بطبيعة التركيب السكاني للمجتمع الأندلسي في أواخر عهد الخلافة، ومنها ما يتعلق بطبيعة النظام السياسي

---

[1]- حاسم صكبان علي، تاريخ صدر الإسلام والخلافة الأموية، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان ،ط1، 2002، ص 169.

[2]-ابن الآبار، المصدر السابق، ص 49.

[3]- سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (399هـ-913هـ)، دار الفكر للنشر، بيروت، ط1،2001، ص 155.

[4]-ابن عذارى المراكشي، ج3، ص 102.

الإسلامي في الأندلس، وهذه العوامل أدت إلى سقوط هذه الأخيرة في الشرق وبروز العباسيون، لان ظهور الدولة العباسية كان السبب الحاسم وراء نشوء إمارة الأمويين في الأندلس[1].

ومنه نذكر أهم الأسباب التي ساهمت ونقلت عملية سقوط الخلافة في قرطبة.

لقد كان المجتمع الأندلسي يتكون من خليط سكاني غير متجانس قوامه العرب الذين كانوا يشكلون الطبقة الأرستقراطية الحاكمة في عهد الفتوحات الأولى وما تلاها قليلا، والبربر والصقالبة وبعض المولدون والمستعربون واليهود، وكانت هذه العناصر البشرية تميل إلى التكتل في بؤرا عمرانية خاصة بها[2].

إن الدولة الأموية تركت مآثر جليلة نذكر منها: أنها زادت في مساحة الدولة الإسلامية، ولها أعمال في مجال السياسة الخارجية، فامتدت من أواسط آسيا شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وصبغت هذه المساحة الشاسعة من الأراضي بالصبغة العربية طريقين تشجيع هجرة القبائل من الجزيرة العربية إلى البلاد المفتوحة[3]، حيث استقرت واختلطت بالسكان المحليين فنتج عن هذا الانتشار العربي نشر اللغة العربية في أنحاء البلاد المفتوحة، باعتبارها لغة القرآن، وطريق تعريب الدواوين، وضرب النقود الإسلامية، كما اهتمت بتدوين الحديث النبوي الشريف، وكذلك نجحت في إحياء حركة الفتوح التي توقفت إثناء نشوب الحروب الأهلية، وكذلك استقرت واختلطت بالسكان المحليين، وساعد هذا على انتشار اللغة العربية بين المسلمين على مختلف طبقاتهم ومستوياتهم[4].

هذا وقد سئل بعض شيوخ بني أمية ومحصليها، عقب زوال الملك عنهم إلى بني عباس "ما كان سبب زوال ملككم؟ قال: إن شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، فظلمنا رعيتنا، فيئسوا من إنصافنا، وتمنوا الراحة منا، ودو حمل على أهل خراجنا فتخللوا عنا، وخربت ضياعنا،

---

[1]- أبو زيدون، المرجع السابق، ص 155.

[2]- محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس للطباعة والنشر، ط5، 2006 ، ص 173.

[3]-المرجع نفسه، ص 173.

[4]-المرجع نفسه، ص 174.

فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا، فآثروا مرافقهم على ، أمضوا أمورا دوننا أخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا، واستدعاهم أعاد فتضافروا معهم على حربنا"[1].

وبالتأكيد فإن هذا النسيج المتجانس يولد الميل والاستقرار والتكتل في المناطق العمرانية خاصة بكل عنصر، ومنه نلاحظ أن قرطبة استقطبت غالبية العنصر العربي، بينما كان غالبية البربر يستوطنون غرناطة وقرمونة ومالقة[2].

وكذلك العامل الجغرافي إذ يرى باحث معاصر، أن أهل الأندلس كانت تعوزهم روح الترابط والوحدة بسبب تفرقهم في شبه الجزيرة وأن هذا أدى إلى تمزيق البلاد بسهولة، وهو السبب الواقعي، وقسمت الأندلس بذلك إلى أقاليم، وقد ساعدت هذه الطبيعة الوعرة والمتباعدة إلى ميل أهل البلاد إلى النزعة الانفصالية[3].

والسياسات المتقلبة التي اتخذها الحكام المسلمون في التعامل مع المجتمع الأندلسي المتعدد الاطباق العرقية وذلك لتغلبهم عنصرا على أخر في الحكم، مما يجعل السيادة بيد عنصر واحد يقوم باستبداد واضطهاد بقية عناصر المجتمع الأندلسي [4]، وهو ما حصل لعبد الرحمن الداخل* [5] عندما أساء معاملة زعيم القبائل اليمانية، وكذلك ما حدث لعبد الرحمن الناصر عندما خذله قادة العرب وذلك لتقريبه الصقالبة والفتيان وإبعاده العرب.

---

[1]-أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، المرجع السابق، ص 11.

[2]-محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 174.

[3]- خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص 222.

[4]-المرجع نفسه، ص 223.

*-**عبد الرحمن الداخل**: ولد سنة 113هـ/731 بالقرب من دمشق مكان يدعى دير حنين أو دير حسينة، وكانت أمه سبية بربرية من قبيلة نقرة، أما أبوه معاوية وهو مؤسس الإمارة الأموية في الأندلس، ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 47.

[5]-المرجع نفسه، ص 225.

ومن أساليب القسوة والبطش والتنكيل التي اتبعها الولاة والأمراء والخلفاء بحق معارضيهم من المجتمع الاسباني، قد أدى إلى حصول فجوة واضحة بينهم وبين عامة الناس وذلك أدى بإنشاء حواجز بين الأهل والرعية وأفضت في الأخير إلى هذا السقوط المريع لآخر الخلفاء في قرطبة.

ومن الأوضاع السياسية التي رافقت الحكم الأموي ضمن فترة زمنية في التاريخ الإسلامي، تقارب التسعين سنة، ومنه ظهر أن خلفاء البيت [1] الأموي كانوا في حاجة لتأييد سلطانهم إلى ما لا يحتاج إليه غيرهم ولكنهم لم يهتموا، بذلك فظهرت جملة من العيوب كانت سببا في القضاء عليهم وهي:

أولا: ولاية العهد.

كانت ولاية العهد* سببا كبيرا في انشقاق البيت الأموي، وذلك أن بني مروان اعتادوا أن يولوا عهدهم اثنين يلي أحدهما الآخر، وأول من فعل ذلك مروان فإنه ولى عهده عبد الملك ثم عبد العزيز فكان عبد الملك**يبدأ بشق هذا البيت، حيث أراد تحويل ولاية عهده إلى ابنه الوليد وعزل أخيه وذلك بوفاة عبد العزيز.

وكذلك من المعروف أن رئيس القبيلة عادة ينتخب أو عائلة معينة وليس هناك مبدأ الوراثة، ولكن قضية خلافة الرسول باتت من المواضيع التي أدت إلى انقسام المسلمين يوم السقيفة، وخرج مبدأ الخلافة في الإسلام عن الشورى إلى العهد والشورى الضيقة (الخلفاء الراشدين) وإلى وراثة الدولة الأموية حصرها إلى البيت العلوي (آل البيت–النص– والتعيين)[2].

---

[1]–الشيخ محمد الحضري بك، الدولة الأموية، اعتنى به درويش جويدي، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر، ط 2، 2001، ص 402.

*–**ولاية العهد**: هو عهد الإمام بالخلافة إلى من يصح إليه العهد ليكون إماما بعده، ينظر: أنور محمود، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 481.

–هشام بن عبد الملك** : 105–125هـ، بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد الشمس أبو وليد القرشي الأموي الدمشقي أمير المؤمنين وأمه أم هشام بن هشام بن إسماعيل المخزومي. ينظر: المرجع السابق، ص 482.

[2]– فاطمة الشامي، تطور تاريخ العرب السياسي والحضاري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1997 ، ص 215.

ثانيا: العصبة القبلية (إحياء العصبية الجاهلية).

التي جاء بها الإسلام معفيا لأثرها ومشددا في النعي عليها لأنه رأى أن حياة الأمة العربية لا تستقيم مع هذه العصبيات التي أضعفت قوامهم في جاهليتهم[1].

ومن هنا ظهرت العصبية القبلية بين أفراد الأسرة الحاكمة وولاتها، وقد اتخذت العصبية شكل نزاع بين عرب الشمال وعرب الجنوب (مصر أو القبسية- الأزد أو اليمانية) إضافة إلى أن قبائل الشام، وقد ساعدت سياسة الأمويين على إعادة الروح الجاهلية القديمة التي تقوم على التعصب بالأنساب والقبائل[2].

وذلك بعد موت الخليفة يزيد وأدى ذلك إلى معركة مرج راهط، ورغم وقوف الخلفاء أو الأمر على الحياد فإن وصول الحجاج إلى الحكم أظهر العصبية القبلية كحزب سياسي مؤيد للحكم، أي التمتع بالجاه والمنصب؛ وهكذا أدخلت الدولة الأموية في نفق مظلم من النزاعات العصبية* القبلية الداخلية وأصبح بذلك كل حزب يبحث عن نفوذه ومصالحه ومنه ضعفت الدولة الأموية لأن هذه العصبية القبلية صارت ضدها عكس أن تكون سدها العسكري اتجاه الأحزاب السياسية.

ثالثا: تعصب الأمويين للعرب.

---

[1]- نهال خليل الشرابي وآخرون، تاريخ الخلافة الأموية، دار الفكر للنشر، ط1، 2010، ص 270.

[2]-كمال السيد أبو مصطفى، أسامة أحمد حماد، محاضرات في تاريخ الدولة العربية الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2000، ص 186.

*-**العصبية**: ظهرت خاصة بالبدو لأنت أحياءهم (مفتوحة) وهناك عصبية عامة وخاصة، العصبية الخاصة مبنية على النسب القريب، والنسبية العامة تقوم على النسب البعيد، ينظر: د. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ، ط5، 6،2001 ، ص 297.

-الموالي**: هم أهالي البلاد المفتوحة الدين دخلوا في الإسلام، ينظر: المرجع نفسه، ص 299.

لقد اهتم الأمويين بالتعصب للعرب، وازدياد تحقير الموالي** واعتبارهم بمنزلة دون العرب، فقد كانت عطاءاتهم في الجيش دون العرب ومنعوا من ركوب الخيل ودخول فرق المشاة، وكان لهم مساجد وجبانة خاصة بهم في المقابل يذكر 'الدوري' بأن منزلة بعض الموالي من أصحاب العلم والشأن كانت عالية عند الخلفاء، ولقد دخلوا الوظائف العامة في الدولة الأموية، وكل هذه الحوادث ساعدت على تصدع البيت الأموي وضياع هيبتها في نفوس المسلمين[1].

رابعا: النزعة العربية عند الأمويين.

أ-الاتجاه السياسي:

لقد ساعدت النزعة العربية؛ بشكل بارز في أوساط الأمويين الذين مالوا للعرب، واستعلوا الموالي، ويظهر ذلك في اتجاهات ثلاثة وهي: الاتجاه السياسي والاقتصادي والاتجاه الاجتماعي:

وفيما يخص الاتجاه السياسي، أن الأعاجم دخلوا في الدين الإسلامي لأسباب دينية واجتماعية أو مادية وفي الواقع أنهم لم يحصلوا على مساواة [2] سياسية تامة مع العرب واستبعدوا من تولى الوظائف الكبرى في الدولة بشكل عام، والثابت أن مصدر هذه التفرقة السياسية، هو الاتجاه الأموي نحو تمييز العنصر العربي، ومنه أن الأمويين في الأصل فرع من قريش القبيلة الشهيرة، ومن الواضح ليس هناك ما يدين هذه النزعة العربية لديهم، ولكنهم لم يتأقلموا مع المتغيرات الجديدة التي طرأت على الوضع الإسلامي بعد الفتوحات. ورافقت كذلك حياة الدولة الأموية، بروز حركة الموالي*، ونتج عن ذلك ظهور صراع جديد يحمل في طياته خلفية قومية، ويشكل هؤلاء إحدى القوى السياسية الضاغطة التي ساهمت في سقوطها[3].

---

[1]-كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 188.

[2]-محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 190.

*-كان للموالي نصيب ضيق في تولي الوظائف العامة خاصة فيما يتعلق بالإدارة المالية نظرا كحاجة الدولة، وكان لهم دور سياسي وعلمي في الخلافة لأعمالهم في الفتوحات العربية الإسلامية، ينظر: د. نهال خليل شرابي، المرجع السابق، ص 273.

[3]-المرجع نفسه، ص 191.

ومنه يبدو أن هذا التيار السياسي الذي شكله الموالي لم يتبلور إلا في إطار الدعوة العباسية التي حركت ما يتطلع إليه هؤلاء من مساواة مع العرب، والعباسيون من جهتهم راهنوا على الفرس شعبا وعلى إيران أرضا حيث كانت خراسان المسرح الأول للمجابهة مع الأمويين.

الاتجاه الاقتصادي:

أما فيما يخص هذا الاتجاه، فقد طبق الأمويون سياسة اقتصادية معينة عمادها حرمان الموالي من الامتيازات الاقتصادية، هذا ما أدى إلى قيام الاضطرابات التي كانت سببا في زوال ملكهم [1].

ولقد ساد التدمر الاقتصادي بين الموالي في كل مكان وشاركوا العرب في جهادهم ضد الأتراك، ثم أخذت هذه الحركة (الاقتصادية) مظهرا آخر تمثل بالنزوح من القرى إلى المدن يهدف للحصول على العطاء والتطورات الجديدة.

وبالرغم من هذه السياسة الاقتصادية الجديدة، فقد اتخذت طبقة الموالي شكلا جديدا هو التحالف مع الدعوة الهاشمية سواء العلوية منها أو العباسية وكانت هذه الظاهرة من بين العوامل التي أدت إلى القضاء على الأمويين ونجاح الدعوة العباسية[2].

الاتجاه الاجتماعي:

[1]-محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 192.

[2]-المرجع نفسه، ص 196.

*- **البداوة:** هي حياة أهل البدو خاصة سكان الصحراء منهم

بدو، يسهل ابن خلدون هذه الكلمة، **تارة** بمعنى سكن البادية والعيش فيها، 'هؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولابد إلى البدو: لأنه متسع لما يتسع له الحواضر من المزارع والمدن والمسارح للحيوان...' **وتارة:** بمعنى سكان البادية أنفسهم، ينظر: محمد عابد الجابري، العصبية والدولة، المرجع السابق، ص 286.

ومن هذه الناحية فقد كان الموالي يمرون بتطور اجتماعي معين في منطقة العراق وخراسان، وذلك أن الفتح الإسلامي لهذه البلاد قضى على النظام الطبقي القديم، وحرر طبقات العمال والصناع والمزارعين.

ومن الناحية الأخرى، فقد أخذت الهجرات العربية إلى البلاد المفتوحة تتسع بعد الفتح، وسكن العرب المدن، كما عاشوا في القرى وخضعوا ذلك لتطورين هامين: الأول أنهم تركوا البداوة*واستقروا وعملوا بالزراعة وتأثروا بالتقاليد الاجتماعية في البلاد التي هاجروا إليها.

خامسا: الخلافات المذهبية.

كان هذا الخلاف حول موضوع الخلافة من أحد الأسباب التي أدت إلى إضعاف الدولة الأموية، ومنه وجدت أربع جماعات في الميدان السياسي، **الأولى**:أنصار بني أمية وأغلبيتهم في السنة، **الثانية**: أنصار العلويين من الشيعة، **الثالثة**: جماعة العباسيين الذين دخلوا ميدان السياسة في أواخر العصر الأموي، **الرابعة**: جماعة الخوارج الذين لا يؤمنون بالوراثة كأساس لنظام الحكم .

وقد أدى هذا الخلاف إلى اصطدامات دامية، شغلت جانبا كبريا من نشاطات الأمويين وكانت تعبيرا على استياء أكثر من فئة في المجتمع الإسلامي[1].

وبذلك انقطعت الدولة الأموية من الأرض، وانتشر سلك الخلافة وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف وافترى الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات واقتسموا خطتها، وتغلب بعض على بعض واستقل أخيرا بأمرها منهم ملوك استفحل أمرهم وعظم شأنهم ولاذوا بالجزي للطاغية أن يظهر عليهم أو يبتزهم ملكهم وأقاموا برهة من الزمن، حتى قطع إليهم البحر ملك العدوة وصاحب مراكش أمير المسلمين ويوسف بن تاشفين المتوفي فخذلهم وخلى منهم الأرض.

[1]- محمد عابد الجابري، المرجع السابق ، ص 200.

وحكم البلاد رؤساء الطوائف وأمراء الثغور، وانقسمت بذلك إلى دويلات صغيرة متنازعة وابتدأ نتيجة ذلك عهد جديد هو عهد دول الطوائف[1].

[1]-المقري، المصدر السابق، ص 438.

الفصل الثاني

مظاهر التسامح الديني خلال عصر الطوائف

المبحث الأول: النشاط الديني لأهل الذمة في الأندلس.

المبحث الثاني: الطقوس الدينية لأهل الذمة في الأندلس.

المبحث الثالث: مظاهر التسامح في مملكة غرناطة.

تمهيد:

نجد أن عهد ملوك الطوائف في الأندلس الذي يمتد من 422-479هـ/1031-1086م، نجم عن سقوط الدولة الأموية في الأندلس وانقسام الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة انقسمت إلى أحزاب:[1] **الحزب الأول** دولة بني جهور في قرطبة، ودولة بني عباد في إشبيلية، بين الأفطس في بطليوس وبني النون في طليطلة.

الحزب الثاني: يمثله المغاربة البربر الحديثوا العهد في الأندلس استقروا في ظل حكم بني عامر بنو زيري الصنهاجيون في غرناطة.

الحزب الثالث: كبار الصقالبة استقلوا بشرق الأندلس،[2] وصار ملوك الطوائف يتباهون في أحوال الملك حتى في الألقاب، وتلقبوا بنعوت الخلفاء ففي ذلك قال ابن رشيق القيرواني:

مما يزهدني في أرض أنـــدلس ... تلقيت معتضد فيها ومعتـــــمد

ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد.[3]

وقد حرص كل واحد على أخذ ما في يدي صاحبه فتلقى بأسهم بينهم واشتغلوا بأنفسهم ولقد تعايشت معهم فئات غير مسلمة تفاعلت بشكل أو بآخر مع المسلمين،[4] بدأ التأثر والتأثير فيما بينهما وهذا ما سيتضح لنا، لأن الإسلام هو دين سماحة.[5]

وتتجلى سماحة الإسلام في مظاهر متعددة نذكر منها:

---

[1] – عطية القوصي، دفاع المسلمين عن عقيدتهم في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1433هـ/2012م، ص 222.

[2] – المرجع نفسه، ص 223.

[3] – شكيب ارسلان، الحلل السندسية في الاخبار والآثار الأندلسية، منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت، دط، دت، ج 1، ص 248.

[4] – أبي حنيفة أحمد داود الدينوري، الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، مكتبة المدني، بغداد، دط، دت، ص 39.

[5] – عبد الواحد ذنون طه، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004، ص 157.

* بين المسلمين من خلال الدعوة إلى إقامة مجتمع تسوده الأخوة والتضامن. [1] مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾[2]

* مع غير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي، ويكونون فئة قليلة، والإسلام دعا إلى حسن جوارهم لقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[3]

* مع غير المسلمين الذين يعيشون في مجتمعات أخرى غير إسلامية، على مبدأ السلم الذي هو أساس التعامل الذي يدعو إليه الإسلام،[4] لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[5]

[1] – محمد مفتاح، الحضارة الإسلامية في الأندلس، تن: عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2009، ص 39.

[2] – سورة الحجرات، الآية10.

[3] – سورة النحل، الآية 125.

[4] – محمد مفتاح، المرجع نفسه، ص 40.

[5] – سورة البقرة، الآية: 206.

المبحث الأول: النشاط الديني لأهل الذمة في الأندلس.

تعريف التسامح:

من سمح، السماح والسماحة بمعنى الجود والكرم، سمح سماحة، وسموحة سماحا، والمسامحة المساهلة وتسامحوا وتساهلوا.[1]

والتسامح الديني هو اللين في التعامل والترفع عن أخطاء الآخرين وتقبلها وهو مفهوم أعمق من ذلك إذ يعني تقبل كافة الأشخاص من جميع الأديان والثقافات ولعل الإسلام هو أكثر الأديان والثقافات وتطبيقا، ومن الأمثلة التي تدل على التسامح الديني الذي كان موجودا من الرسول صلى الله عليه وسلم.[2]

ومهما يكن فإن الإسلام دين سمح، يحث معتنقيه على أن يتعاملوا فيمال بينهم وعلى أن يعاملوا غيرهم من ذوي الديانات والملل الأخرى، بهذه السماحة أي بدون تشدد ولا تضييق ولا غلو ولا عنف.[3]

وهذا ما سنراه من خلال مشاركة أهل الذمة داخل المجتمع الأندلسي.

لقد احتل أهل الذمة مكانة هامة في المجتمع الإسلامي، خاصة في ظل الحكومة الإسلامية بشقيها الشرقي والغربي، فقد شكلت هذه الأخيرة (أهل الذمة) أحد العناصر المهمة والمكونة للمجتمع الأندلسي، المتأثر بالأحداث التي شهدتها البلاد، وبهذا عاشت هذه الطائفة مع المسلمين جنبا إلى جنب في إطار ما تسمح به الشريعة الإسلامية، كما ساهمت بشكل كبير في بناء الحضارة الإسلامية من خلال تأثرهم بالحضارة العربية، فكونوا مجتمعات ذمية في مختلف مناطق الأندلس واختلطوا بالعرب والبربر الذين قدموا إلى البلاد على صورة فاتحين.

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف،دطن دت، ج1، ص 164.

[2] –tolon jolan, fur upe and the Islamic world, alustory prinnretion, 2013, p40.

[3] – محمد مفتاح، المرجع نفسه، ص 36.

1-تعريف أهل الذمة:

1-1 لغة: الأهل في القرابة والعشيرة، وأهل المذهب من يدين به، وأهل الأمر ولائه. [1] وكذلك: الكفالة والعهد والمذمة العهد والكفالة جمعها ذمام العقد والحق: فلان له ذمة أي حق.... المذمة أهل العقد.[2] وفي قوله تعالى: ﴿**لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ**﴾[3]

وأهل الذمة هم أهل العقد، والذمة هي الأمان، وسموا أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم.[4] وهذا العهد إذا من ينقضه يوجب الذم لقوله تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾[5]

وأهل الذمة هم الذين يدفعون الجزية للمسلمين الذين عاهدوهم على الحماية والأمان وتسهيل الأعمال.

[1] – ابن منظور، المصدر السابق، ص 164.

[2] – المصدر نفسه، ج3، ص 1517.

[3] – سورة التوبة، الآية: 10.

[4] – ابن منظور، المصدر السابق، ص 221.

[5] – سورة الإسراء، الآية: 34.

1-2-أهل الذمة اصطلاحا:

أهل الذمة في الاصطلاح الشرعي، هو أهل الكتاب، [1] وهم اليهود والنصارى ومن اتخذ كتابا كالسامرة[2]، والصائبة[3]، وذلك لقوله تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾[4] ويلحق بأهل الذمة المجوس [5] لقوله صلى الله عليه وسلم: { **سنوا بهم سنة أهل الكتاب**}، وذلك في أخذ الجزية فقط، ولا تجري عليهم أحكام الذمة في المناكحة والذبائح.

وفي منظومة الذهب المنجلي في الفقه المنجلي بيان ما سبق ذكره في باب عقد الذمة:

تعقد الذمة من أهل الكتاب والمجوس شبهة فيهم تجاب

بعقدها الإمام إن يأمنـــهم وفي الخصال أربع يلـــزمهم

بجزية يأخذها من صـــاغر مع احترام ديننا في الظـــاهر.[6]

ومنه فالذمة شرعا هم المعاهد من اليهود والنصارى أصحاب أهل الكتاب وما شابههم من المجوس والسامرة، الذين دخلوا في ذمة الدولة الإسلامية بصفة مؤبدة بعد إعطاء الجزية مع الالتزام بأحكام

---

[1] – **أهل الكتاب**: هو اسم يطلق في الإسلام على اليهود والنصارى بالدرجة الأولى وكذلك نسبة إلى الكتاب المقدس مثل التوراة والإنجيل، ويجري المجوس مجراهم في أخذ الجزية، وكذلك يؤخذ من الصابئة والسامرة ، فهم يوافقون أهل الكتاب في أصل المعتمد. ينظر: أحمد فهمي محمد، الملل والنحل، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1413هـ/1996م، ص 227.

[2] – **السامرة**: هم قوم يسكنون جبال بيت المقدس وفريا من أعمال مصر أثبتوا نبوة موسى وهارون، ويوشع بن نون عليهم السلام، وأنكروا نبوة من بعدهم من الأنبياء إلا نبيا واحدا يأتي من بعد موسى يصدق ما بين يديه من التوراة، وهي فرقة مشتقة عن اليهود. ينظر: الإمام أبي الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به كمال حسن رعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ج1، ص 170.

[3] – **الصابئة**: لغة من صبأ الرجل إذا مال وزاغ ، وكل من مال وزاغ عن سنن الحق ومنهج الأنبياء قيل لهم الصابئة. ينظر: المسعودي، المصدر نفسه، ج1، ص 17.

[4] – سورة التوبة، الآية: 29.

[5] – **المجوس**: قوم يعظمون الأنوار والنيران ويدعون النبوة. ينظر: المسعودي، المصدر السابق، ج1، ص 173.

[6] – بوعزة كريمة، أهل الذمة في المغرب الأوسط إسهاماتهم الفكرية ونشاطهم الاقتصادي (ق 5-9هـ/11-15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الأوسط، إشرا الأستاذ الحاج عيسى إلياس، 1434هـ/2013م، ص 22.

أهل الذمة فصاروا في حماية المسلمين وأمنهم وعهدهم، وذلك سواء كان الذم من بلاد استولوا عليها وفتحت صلحا، أو كان أجنبيا دخل بلاد المسلمين فصار تحت حمايته، ومنه عرف أهل الذمة الأمن والأمان من المسلمين فعاشوا جنبا إلى جنب في ظل الحكم الإسلامي.[1]

أهم التجمعات السكانية:

ومن أهم التجمعات السكانية التي شهدها أهل الذمة في الأندلس فإن معظمهم استوطنوا غرناطة، وإشبيلية وبلنسية والبيرة [2]، وبطليوس، وطركونة [3] ، ومالقة [4]....، ناهيك عن استقرار بعضهم في البوادي لزراعة الأرض تحت رعاية أشياخ من بني جلدتهم، عارفين بالجباية اللازمة على رؤوسهم، وقد أباتت حملة ألفونسو المحارب سنة 520هـ/1126م،عن تواجدهم في كافة بوادي الأندلس وهم على دين النصرانية.[5]

---

[1] – بوعزة كريمة، المرجع السابق، ص 23.

[2] – **البيرة:** مملكة جليلة بين مملكتي قرطبة وألمرية، ومملكتي جيات ومالقة، وهي كثيرة الكتان والأشجار والأنهار وما يطول ذكره من صنوف الخيرات. ينظر: ابن سعيد الغرناطي الأندلسي، المغرب في حلى المغرب ت 685هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1967، ص 75.

[3] – **طركونة:** بفتح أوله وثانيه وتشديده وضم الكاف وبعد الواو الساكنة، نون بلدة بالأندلس متصلة بأعمال طرطوشة وهي مدينة قديمة على شاطئ البحر، بها نهر علان يصب مشرقا إلى نهر أبره وهو نهر طرطوشة، وهي بين طرطوشة وبرشلونة، بينها وبين كل واحد منهما سبعة عشر فرسخا وطركونة، موضع آخر بالأندلس. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، دط، 1404هـ-1984م، ج4، ص 32.

[4] – **مالقة:** قال أبو عبد الله بن عسكر الغساني قاضي مالقة:

أهواك يا بدر وأهوى الذي ...يعذلني فيك وأهوى الرقيب

والجار والدار ومن حلها ... وكل من مر بها من قريب

ما إن تنصرت ولكنـني ... أقول بالتثليث قولا غريب

ينظر: المقري، نفح الطيب، لمصدر السابق، ج3، ص 34.

[5] – إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت، ص 72.

ومنه يأتي في طليعة هذه التجمعات السكانية: اليهود: الذين يشهد التاريخ الحضاري للأندلس لأنهم لم يعرفوا فترة في تاريخهم الطويل أزهى ولا أخصب في جميع النواحي وعلى وجه الخصوص الثقافية منها إلا في ظل السيادة العربية الإسلامية بأرض الأندلس.[1]

شهد أهل الذمة من اليهود والنصارى [2] في الأندلس معاملة إنسانية من حكام الأندلس، وتم منحهم الامتيازات والحقوق والحريات في العبادة والعمل فضلا عن الحفاظ على أرواحهم وأموالهم وحقوقهم، وينعم أهل الذمة بالعدل والمساواة والتسامح والحرية التي حرم منها اليهود طيلة قرنين في ظل الحكم الإسباني النصراني.

على الرغم من حجم التسامح والاحترام الذي حصل عليه اليهود في الأندلس لكن هؤلاء اليهود أجابوا عنه بالتآمر، والاعتداء والسلب، والقتل في داخل المجتمع الإسلامي بالأندلس.[3]

انتشر اليهود في جنوب الأندلس نظرا لخيراته وجودة مناخه واستقر عدد من اليهود في غرناطة granad ، والبيرة ومن أروع صور التسامح العربي الإسلامي هو موافقة الحكومة الأندلسية بتخصيص مقبرة لليهود في أطراف قرطبة كما أطلق باب اليهود على أحد أبواب قرطبة التي تطل على حي اليهود الكائن في مدينة قرطبة الإسلامية.[4]

---

[1] – عبد الله حمادي، المورسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس 1492-1916م، دار اللامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2011، ص 17.

[2] – **اليهود والنصارى**: وهم أهل الكتاب، ومشروعية ذلك أخذ النبي صلى الله عليه وسلم منهم الجزية لقوله تعالى: ﴿**مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾سورة التوبة، الآية: 29.

ومن السنة أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الجزية من نصارى نجران ومن يهود خيبر. ينظر: بوحلوفة محمد أمين، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي 914هـ /1508م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشرا: بوركبة محمد، جامعة وهران، 2014/2013م، ص 8.

[3] – محمد بشير العامري، دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ط1، 2012 ، ص 117.

[4] – محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص 118.

وقد شكلت الطائفة اليهودية والنصرانية عنصران من عناصر المجتمع الأندلسي فقد كان لهم دور كبير في تصوير جغرافية البلاد، وكذالك كان لهم رعاية خاصة ومعاملة حسنة من طرف المسلمين لأنهم من أهل الذمة.[1]

لقد عامل الإسلام سائر الأمم بالحسنى والتسامح، وطلب منهم الدخول في الإسلام باقتناع وإيمان، قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [2]

إن الإسلام لم يجبر الأمم الأخرى على الدخول في الإسلام فقد كان الإسلام متساهلا مع تلك الأمم، لأنهم سيعرفون جادة الحق، ويؤمنون بهذا الدين، وإن رفضوا الدخول في الإسلام فعليهم بالجزية[3] والإسلام سيبقى محافظا على أرواحهم وحرماتهم وأموالهم.

ويكفي فخرا أن اليهود في الدولة الأموية قد لحقوا بالمسلمين العرب بعد انهيار الدولة الأموية، وفضلوا العيش في رعاية الإسلام والمسلمين في الأندلس بعد تأسيس الدولة الأموية في الأندلس.[4]

أما في شأن الدين وحرية العقائد والضمائر فقد كانت السياسة الإسلامية مثلا أعلم للتسامح، فلم يظلم أحدا ويرهق بسبب الدين والاعتقاد.

---

[1] – إبراهيم القادري، بوتشيش، المرجع السابق، ص 39.

[2] – سورة البقرة، الآية: 256.

[3] – **الجزية:** كانت الجزية في الإسلام يقدرها النسب بحسب الأحوال، وعلى مقتضى التراضي الذي كان يقع بين المسلمين وأعدائهم، كذلك تضرب على غير المسلمين فمن أسلم سقطت عنه، إلا في أيام عبد الملك ابن مروان فإن الحجاج وضعها على من أسلم من أهل الذمة، وخاطب عبد الملك أخاه عبد العزيز عامله على مصر يومئذ أن يضعها على من أسلم فشاور عبد العزيز بن حجيرة أخذ خاصته فأعظم الأمر، وقال: أعيذك بالله أن تكون أول من سن ذلك بمصر فوالله إن أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم، فكيف تضعها على من أسلم منهم.

أما النصارى واليهود والمجوس وعبدة الأوثان من العجم فيقبل منهم الإسلام أو الجزية أو السيف. ينظر: جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، ص ص 220-221.

[4] – فخري خليل النجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان ، ط1، 1432هـ/2011م، ص 217.

وكان أداء الجزية هو كل من يفرض على الذميين من النصارى واليهود لقاء الاحتفاظ بدينهم وحرية عقائدهم وشعائرهم ومن دخل منهم الإسلام سقطت عنه الجزية وأصبح كالمسلم سواء في جميع الحقوق أو الواجبات.[1]

لقد كان تسامح الإسلام نبراسا يشع بضوئه المنقذ في تلك المجتمعات التي أضفاها الإرهاق الديني، ولو يرى الإسلام بأسا من أن يستقبل النصارى واليهود إلى جانب المسلمين في مجتمع واحد يسوي فيه بينهم في جميع الحقوق والواجبات ولم يرى بأسا من أن تقوم الكنائس والبيع إلى جانب المساجد.[2]

حيث أن دخول عدد كبير من النصارى واليهود في الإسلام جعل التفاعل الحضاري ينموا ويزدهر وقد عبر عن ذلك المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال بقوله: "الطابع الفريد للإسلام في الأندلس"[3]

بحيث كانت مشاركة المسلمين لأهل الذمة في هذه الاحتفالات على أساس من نظرة الاحترام والتسامح الديني، والحياة المشتركة، التي عاشها المسلمون والمسيحيون هناك جنبا إلى جنب في المجتمع الأندلسي سنين طويلة.[4]

[1] – محمد إبراهيم الفيومي، المرجع السابق، ص ص 129-130.

[2] – المرجع نفسه، ص 132.

[3] – محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص 58.

[4] – حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 304.

المبحث الثاني: الطقوس الدينية.

لقد مارس أهل الذمة طقوسهم واحتفالاتهم إلى جانب أهل الأندلس لأنهم كانوا جزء من المجتمع الأندلسي وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تسامح المسلمين معهم، بحيث سمحوا لهم بممارسة شعائرهم الدينية ونذكر منها:

عيد ميلاد السيد المسيح بالإسبانية تافيداد nairdad في 25 كانون الأول في كل عام ميلادي.

وليلة العجوز: بالإسبانية نوجي بيجب noclrevieka ، الليلة الأخيرة أو القديمة في كل عام ميلادي.

ليلة عيد الفصح أو القديس: بالإسبانية **سمانا سانتا** samana santa أسبوع الفصح من كل عام.[1]

طقوسهم كانت تسمى بالطقوس المستعربية نظرا لاستعمالها اللغة العربية إذ لم يمض على الفتح خمسون عاما حتى اضطر رجال الدين لترجمة صلواتهم إلى العربية، ليفهمها النصارى.[2]

وقد تعلق النصارى بالعربية وإلى تنوع أغراضها وإلمامها بأنواع الآداب.[3]

وأيضا في الأعياد التي كان الأندلسيون يحرصون على الاحتفال بها عيد العنصرة أو المهرجان ويكون في الرابع والعشرين من شهر يونيو وهو يوم ميلاد يحي بن زكريا عليهما السلام، بحيث يقول الشاعر حسان بن أبي عبدة في المهرجان:

[1] – محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص 28.

[2] – عبد الواحد ذنون طه، دراسات في حضارة الأندلس، المرجع السابق، ص 70.

[3] – روزا مينوكال، المرجع السابق، ص 64-65.

أرى المهرجان قد استَبشَرا ...غَداةَ بكى المزن واستعْبرا

وسرْبلت الأرض أفواهها...وجُلّلتْ السندس الأخضرا.[1]

أما اليهود كان لهم مدرسة دينية خاصة بهم وهكذا ترك لهم العرب حرية العقيدة، وحق مزاولة شعائرهم الدينية وحرية التنظيم الداخلي لجماعتهم، وبفضل هذا التسامح بدأ عدد اليهود يتزايد مع الزمن واعتنقوا الإسلام ومارسوا عادات المسلمين وتقاليدهم، وأتقنوا اللغة العربية.[2]

لذلك قال النصارى:

صان لي ذمتي وأكرم وجهي إنما يكرم الكريمَ الكريمُ.[3]

وقد عاش هؤلاء النصارى بحرية مقابل دفع الجزية تماشيا مع الشريعة الإسلامية فأبقوا لهم أماكن العبادة يقرؤون فيها نواقشهم بحرية:[4]

أتيَتني وهِلالُ الجو مطّلعُ قبيل قَرعَ النصارى للنَواقِيسِ.[5]

وقد كان المسلمين يشعرون بالاستمتاع من خلال مشاهدتهم للاحتفالات ونذكر على سبيل المثال: أبي عامر بن شهيد عند مبيته بإحدى كنائس قرطبة خلال عصر الطوائف بقوله:

وقدْ فَرشَت بأَضغاثٍ أســـــــــــسٍ وعرّشتَ بِسرورٍ واستئـــناسٍ

وقَرعَ النواقِيسَ يبهج سمـــــــــــعهُ وبرقَ لحميَا يُسرج لمـــــعُه

والقِسُ قد برز في عَبدةَ المسيحَ متوحشًا بالزَنَانيرِ أبدعَ توشِيـــــــحَ

قد هَجروا الأفـــــــــــــــراحَ وأطرحُوا النعم كل أطـــراحَ

لا يعمَدونَ إلى ماء بآنـــــــــــيةٍ إلا اغترافًا من الغَدران بالرّاحِ

[1] – محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 101.

[2] – مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص 72.

[3] – عطية القوصي، المرجع السابق، ص 542.

[4] – محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص 22.

[5] – مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص 71.

ويقول ابن الحداد صورة موجزة عن ذلك التسامح في شعره الذي استفرغ معظمه في نويرة النصرانية فيقول:

فإني بي للروم رومـــــية تكنس ما بين الكنسيات

أهتم فيها، والهوى ضله بين صواميع وبيعـــــات.

وقد أصبحت طقوسهم تسمى بالطقوس المستعربية نظرا لاستعمالها اللغة العربية، بحيث ترجم رجال الدين صلواتهم إلى العربية ليفهمها النصارى.[1]

هذا فضلا عن الامتيازات الأخرى والتنازلات بحيث كان يسمح لهم أن يكون لهم رئيس في كل مدينة يكن لهم فيها تواجد، وكان يطلق عليه اسم القومس.[2]

ومن صور التسامح احترام الدول الإسلامية تقاليد وأعراف اليهود والمستعربين بالأندلس، حيث خصصت لهم مقابر خاصة تماشيا مع عوائدهم وتقاليدهم في دفن موتاهم.[3]

وقد بلغ هذا التسامح مداه في عصر الطوائف وظهر شعر المعارضة للدولة وتعايش النصارى معهم لقول عبد الجبار:

واشتغَلت أذهَانهُم بالخَـــمرِ وبالأَغانِي وسماع الـــزَّمرِ

وزَادَهم في الجهل والخِذلان أن ظاهروا عِصابة الصُّلبان

فاستَولت الروم على البـــلادِ واستعبَدوا حَرائِر العِـــباد.[4]

---

[1] – عبد الواحد ذنون طه، الرجع السابق، ص 70.

[2] – عمر بوخاري ، الخلدونية، المرجع السابق، ص 123.

[3] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص77.

[4] – ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، المصدر السابق، ص 430.

الأعياد اليهودية:

بما أن اليهود جزء لا يتجزأ من التركيبة الاجتماعية الأندلسية، فلابد أن لهم أعياد كثيرة يحتفلون بها، تضمنت مواسم واحتفالات وطقوس مختلفة، وهذه الأعياد تعود إلى أصول دينية نص عليها العهد القديم، فصارت رموزا لأحداث تاريخية لها أهمية كبيرة في الحياة اليهودية، ومن خلال هذه الأعياد نذكر الأعياد الدينية.[1]

الأعياد الدينية:

عيد السبت:

يعتبر هذا اليوم من الأيام المقدسة عند اليهود، والتي يجب مراعاة حرمتها، ففي هذا اليوم يمنع العمل، والسبت هو ثبات في اللغة العبرية ويعني "الراحة"، وبدايته عند اليهود يبدأ من غروب الشمس يوم الجمعة إلى غروب يوم السبت، ومن أهم محرمات هذا اليوم:

-تحريم إيقاد النار، تحريم السفر في هذا اليوم، تحريم الكتابة، تحريم عقد الزواج، تحريم الحرب الهجومية.[2]

عيد رأس السنة العبرية دروش هتاناه:

يظن اليهود أن هذا العيد منزل في التوراة، وموعده في أول تشرين، [3]أحد الشهور العبرية، [4]يقوم هذا اليوم في ذكرى افتداء الله لإسماعيل عليه السلام بعد أن كان والده إبراهيم عليه السلام أن يذبحه وبهذا يكون بمثابة عيد الأضحى عند المسلمين، ويعتبر هذا العيد عتقا وحرية عند اليهود، ويدوم ثلاثة أيام (1و2 من شهر تشري العبري، ثم يستمر الاحتفال في اليوم الثالث بطريقة شعبية،

[1] – بلحاج فاطمة الزهراء الحفيظ، جيدل فتيحة، الحياة الاجتماعية والعلمية لأهل الذمة في بلاد الأندلس من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة (8-11هـ)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ والحضارة المغرب الإسلامي، إشرا : نجيمي عيد، 1435-1436هـ/2015-2016م، ص 70.

[2] – المرجع نفسه، ص 70.

[3] – أي في أوائل تشرين الأول (أكتوبر).

[4] – ظاظا حسن، الفكر الديني اليهودي، دار العلم، دمشق، ط3، 1995م، ص 166.

أما اليوم الرابع فهو صيام اسمه صوم جدليا، [1] وهو يوم حزن وحداد، ومن مميزاته الاحتفالية، نفح الأبواق عند الصلاة والترتيل والتهليل.

عيد صوماريا:

ويسمى هذا العيد عند اليهود الكسور، وهو عندهم الصوم الكسر الذي فرضت عليه ومن لم يصم يقتل، ومدة الصوم 25 ساعة يبدأ فيها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشرين يمضي ساعة بعد غروبها من اليوم العاشر، وقد تشدد السامرة في صيام ذلك اليوم حتى أنهم لم يستثنوا منه الأطفال الرضع،[2] ويشترطون رؤية ثلاث كواكب بعد الإفطار، وهي عندهم الأربعين التالية التي صام فيها موسى عليه السلام، ويزعمون أن الله يغفر لهم خطاياهم بهذا الصوم.[3]

عيد الفطر:

ويسمونه عيد الفصح، يكون في 15 من أفريل في كل عام ويدوم سبعة أيام، يأكلون فيها الفطير وينظفون فيه بيوتهم من خبز الخمير، وذلك احتفالا بذكرى خلاصهم من فرعون.

ومجمل القول أن النظام الإسلامي قد بسط الضرائب وخفف كثيرا من الأعياد فقد كان اليهود والنصارى يقومون بطقوسهم وشعائرهم الدينية بكل حرية، وضريبة الجزية كانت مقابل حماية الدولة لأرواحهم وأموالهم وممتلكاتهم، والباب كان مفتوحا أمامهم للتخلص من الجزية باعتناق الإسلام.[4]

---

[1] – **جدليا:** رجل ولاه نبوخذ نصر مالك بابل على البقية الباقية من اليهود في فلسطين بعد الاستيلاء عليها. ينظر: ظاظا حسن، المرجع السابق، ص 168.

[2] – غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل، عمان، دط، 1957، ص 11.

[3] – المرجع نفسه، ص 12.

[4] – إبن الأصبغ عيسى بن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي للدول الإسلامية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 13.

ويقول ابن الفرضي الذي ترجم لأحد هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام، المسمى عبد الله بن عمر بن الخطاب حيث قال عنه: "وكان من مسالمة أهل الذمة فملأ إشبيلية علما وبلاغة ولسانا حتى شرفت به العرب...."

ولا أدل على التسامح الذي انتهجه المسلمون من فقيههم وعالمهم إلى أدنى رجل منهم أن المعاهدين من أهل الكتاب لم يغادروا بلادهم بل مكثوا فيها واعتنقت كثير منهم الدين الإسلامي، ومن بقي منهم على دينه بقي معززا مكرما محفوظ الحقوق التي ضمنها له الإسلام حيث كان لكل فاتح وحاكم يكتب معاهدة يلتزمها الطرفان الحاكم والرعية من أهل الذمة.[1]

[1] – خالد بن ناصر بن سعيد ال عُمدي، الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى من الفتح الإسلامي (96هـ) حتى سقوط غرناطة 897هـ، مكتبة الكوثر، الرياض، ط1، 1429هـ، ص 508.

المبحث الثالث: مظاهر التسامح الديني في مملكة غرناطة[1].

يذكرها أحمد مختار العبادي: إذا ذكر اسم غرناطة يسرح الخيال في الحمراء وصفها ابن الخطيب بأنها: سنام الأندلس وقاعدة الدنيا، وقراره العليا، [2] وحاضرة السلطان، وفيه العدل والإحسان.[3]

تتكون من ثلاث ولايات، ولاية المرية في المشرق وولاية غرناطة في الوسط وفيها عاصمة غرناطة، وولاية مالقة في الجنوب والغرب.[4]

قد تنوع المجتمع بها فإلى جانب الغرناطيين نجد أهل الذمة من اليهود والنصارى فعددهم كان كبيرا في مملكة غرناطة.[5]

وقد تمتع اليهود بتسامح كبير لمؤازرة اليهود لهم عند الفتح وكانت غرناطة تزخر بأكبر جالية يهودية، فتسميت لذلك بغرناطة اليهود فكان لابن نغريلي الإسرائيلي كل السلطات في غرناطة.[6]

ويقول الشيخ أبو بكر بن محمد بن شريف السبتي، نزل غرناطة بحيث يقول:

رَعى اللَهُ مِن غَرناطَةٍ مُتَبوّأ يسرّ كَئيباً أَو يُجيرُ طَريدا

تَبرّم مِنها صاحِبي عِندَما رَأى مَسارحها بِالبَرد عُدن جَليدا

---

[1] – **غرناطة**: فتحها العرب سنة 92هـ/712م، بعد سقوط الخلافة الاموية ، وانقسام الأندلس إلى دول الطوائف كانت غرناطة من نصيب البربر الصنهاجيين. ينظر: سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، دار النهضة العربية ، ط1، 1998، ص 47.

[2] – أحمد مختار العبادي، صور من حياة الحرب الجهاد في الأندلس، المرجع السابق، ص 227.

[3] – ابن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ص 343.

[4] – رياض أحمد عبد الغاني، الأحوال العامة في مملكة غرناطة 625هـ-897هـ، مجلة جامعة عربة للعلوم الإنسانية، ع 9، 2019، ص 344.

[5] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 357.

[6] – عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، المرجع السابق، ص 133.

هِيَ الثَغرُ صانَ اللَه مَن أهلَت بِهِ وَما خَيرُ ثَغر لا يَكون بـَوودا.[1]

تعتبر غرناطة أو عصر بني الأحمر أو مملكة غرناطة، آخر عصر إسلامي في الأندلس ويمتد من سنة 1231إلى 1492م، وهي السنة التي سقطت فيها في أيدي الإسبان،[2] وقد استقطبت هذه المملكة عدة طوائف في طليعتها اليهود الذين يشهد التاريخ الحضاري للأندلس لأنهم لم يعرفوا فترة في تاريخهم الطويل أزهى ولا أخصب، إلا في ظل السيادة العربية الإسلامية بأرض الأندلس.[3]

لقد عاش أبناء الديانات السماوية الثلاثة الإسلامية والنصرانية واليهودية بالأندلس، في أجواء يسودها التسامح والحرية والمحبة والاحترام وممارسة الشعائر الدينية والطقوس والعادات والتقاليد، وهذا بفضل إحسان المسلمين إليهم،[4] وتعاملوا مع كل الطوائف الاخرى على أساس مبدأ الانفتاح على الآخر، بعيدا عن كل أشكال الاستعلاء والتمييز،[5]واستقرت هذه الجاليات في معظم المدن الأندلسية، وكانت وكانت تتمتع بحماية الدولة الإسلامية ورعايتها في إطار عقد الذمة.[6] من بين هذه المدن نذكر غرناطة،[7] التي حرصت على معاملة رعاياها معاملة حسنة، وخير دليل على ذلك أن زوجات سلاطين سلاطين غرناطة كن إسبانيات واعتنقن الإسلام واتخذن أسماء عربية، مثل: بثينة، مريم، وبهار وسلوى وشمس وثريا.[8]

---

[1] – شكيب ارسلان، المرجع السابق، ص 215.

[2] – أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 64.

[3] – عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص 17.

[4] – محمد البشير العامري، المرجع السابق، ص 173.

[5] – إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 74.

[6] – محمد الامين ولد آن، تاريخ اليهود في الأندلس، دار منال للنشر والتوزيع، دب، دط، 2013، ص 30.

[7] – **غرناطة أو أغرناطة**: اسم أعجمين وغرناطة من معمور الإقليم الخامس يبتدأ من بلاد يأجوج، ثم نمر على خرسان، ثم يمر بسواحل الشام ثم على كثير من بلاد الأندلس إلى البحر المحيط الغربي، فهي قريبة من الاعتدال. ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تح: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009، ص 42.

[8] – أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 359.

وعاش هؤلاء النصارى في غرناطة بسلام كما في سائر المدن الأندلسية يزاولون شعائرهم الدينية بحرية تامة مقابل دفع جزية للمسلمين تماشيا مع الشريعة الإسلامية كونهم من أهل الكتاب وهكذا احترمهم حكام غرناطة.[1]

إن من أبرز مظاهر التسامح مع أهل الذمة، ما كانوا يتمتعون به من حقوق، وفي سياق هذا التسامح يشار إلى غير المسلمين لاسيما اليهود، الذين كانت تسند إليهم مناصب عالية ووظائف سامية في الدولة، مثل: **الحاخام إسماعيل بن النغريلية** في ظل الدولة الزيرية بغرناطة، الذي عينه حبوس وزيرا، محل وزيره الراحل وأصبح هذا اليهودي ناموس الملك ومستشاره، وفي هذا الصدد قيل: **"لم تكن النصائح والآراء الرشيدة التي كنت أبديها لك أيها الملك في العهد الأخير صادرة منه بل كانت وحيا أتلقاه من صمويل ذلك اليهودي الذي آثرت أن يكون ناموسي الخاص، فأقصر نظرك عليه واتخذه أبا لك ووزيرا، أخذ الله بيدك، وشد به أزرك"**[2]

وكان لإسماعيل هذا مجلس شعراء من المسلمين واليهود يمدحونه، من الذين مدحوه أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة المعروف بابن المنفتل، له فيه قصائد مثيرة منها:

كالشمس في شرف المناقل***هذا ابن يوسف الذي**

ورث الفضائل عن فواضـل***شرف الزمان يمثـــله.**[3]

وغدا لهذا الأخير النفوذ والسلطان ما جعل الكثير من اليهود يتوافدون عليه ابتغاء لفضله، وهو ما كان له أكبر الأثر في استقطاب الجاليات اليهودية وشدها إلى مدينة غرناطة التي غدت في وقت

[1] – ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، المصدر السابق، ص 106.

[2] – رينهارت دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ص 24.

[3] – ابن بسام الشنتري، المصدر السابق، ص 763.

قصير تضم أكبر تجمع لليهود في الأندلس، [1]وأصبح اليهود في كل صقع وبلد يعتمدون على معونته وكرمه.

لهذا عمد اليهود إلى أن يبرهنوا على إخلاصهم وحبهم وولائهم واعترافهم له بالجميل عليهم وعلى أبناء دينهم فمنحوه لقب "ناغد" أي زعيم أو أمير يهود غرناطة، ولما كان زعيم أمة ورئيس دولة ضم إلى رجاحة العقل وتوقد الذكاء يقظة، وتبصرا وحزما، وصفات خلقية ثابتة، وكان يتكلم قليلا ويفكر طويلان وهذه العادة من أعظم صفات الرجل السياسي المحنك.[2]

خلفه في منصبه ولده يوسف كبير للوزراء في غرناطة مسؤولا عن جمع الجزية من اليهود.[3]

وكان من معاصري ابن النغريلة وولده يوسف، اليهودي أبو عامر يقو تنئيل يوسف الذي وصل إلى مرتبة كبيرة من سرقسطة، وقد اشتهر بحبه للأدب والأدباء، واتخذ لنفسه حاشية من العلماء والفلاسفة.[4]

وهذا إن دل فإنه دليل على أنهم كانوا يحتلون مكانة اجتماعية متميزة، وما قيل عن اليهود يقال عن النصارى الذين اندمجوا هم الآخرين بالمسلمين في شتى مجالات الحياة.

وعاش هؤلاء النصارى في غرناطة بسلام كما في سائر المدن الأندلسية يزاولون شعائرهم الدينية بحرية تامة مقابل دفع جزية للمسلمين تماشيا مع الشريعة الإسلامية كونهم من أهل الكتاب واحترمهم حكام غرناطة، وعاملوهم معاملة حسنة.[5]

---

[1] – محمد الأمين ولد أن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص 30.

[2] – رينهارت دوزي، ملوك الطوائف في تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ص 26.

[3] – محمد الأمين ولد أن، النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين 422هـ/-539هـ- 1030-1141م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: عبد القادر بوباية، كلية العلوم ال،نسانية والاجتماعية، جامعة وهران،2013/2012، ص 75.

[4] – محمد الأمين ولد أن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص 30.

[5] – ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، المصدر السابق، ص 106.

بحيث وصلت درجة التسامح إلى تقلد مناصب حساسة في الدولة، نذكر على سبيل المثال: في سرقسطة، حيث قامت دولة بني هود وخصوصا في عهد المقتدر (438-475هـ/1046-1082م) تولى الخدمة في بلاطه الشاعر النصراني غندي شالب le fils de conzalie الذي ترقى في مناصب هامة لديه حتى وصل منصب الوزارة.[1]

وعن ذلك يقول **سيمونيت**: فكثير من المستعربين تقلدوا مناصب عالية، بالإضافة إلى أبو عمر بن غند سيالوا الذي تسلم رئاسة الوزارة في عهد ملك سرقسطة زمن الطوائف.[2]

أما على صعيد الحياة اليومية فإنهم لم يمنعوا من أداء طقوسهم وشعائرهم المختلفة، وبقدر ما حرص المسلمين على النصح لأهل الذمة في دنياهم، حرصوا كذلك على النصح لهم في دينهم، وذلك بإشعار أهل الذمة بوجوب إحلال أماكن عبادتهم وتقديرها.

ذلك حين كانوا إذا دعت الحاجة إلى استحلاف أحدهم لفض تنازع بينهم وبين مسلم يلزمونه الذهاب رفقة شاهدين من أعوان القاضي إلى أعظم كنيسة في البلد ليؤدي اليمين في مكان له هيبة في نفسه.[3]

لقد كانت غرناطة ملجأ للنصارى الفارين من ظلم رجال الدين ورجال السياسة من المماليك الإسنانيين، أو المدن الأندلسية التي سقطت بأيديهم وكان السلاطين يتزوجن ويتخذن حضايا من النصارى، وقد اكتسب بعضهن مكانة كبيرة لدى سلاطين غرناطة، واعتنق بعض النصارى الإسلام،

[1] – محمد الأمين ولد أن، النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين، المرجع السابق، ص ص 57-58.

[2] – محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص 58.

[3] – محمد عيساوة، معاملة المسلمين الحسنة لأهل الذمة في الأندلس سمة بارزة من سمات التسامح والوسطية، قسم العلوم الإنسانية، عنابة، 2017، ص 357.

ولقد بلغ عدد الداخلين في الإسلام مناصب عالية في الدولة، واتبعوا كثيرا من النصارى العرب في أساليب حياتهم ولغتهم وثقافتهم حتى عرفوا بالمستعربين تمييزا لهم عن نصارى المماليك الإسبانية.[1] وصفوة القول أن السلطة الإسلامية في أغلب الأحيان على عقلها المتسامح إزاء رعاياها من يهود ونصارى.[2]

وبالتالي فإن المجتمع الغرناطي كان يتميز بحيوية العقل وخفة الروح والتسامح مع الآخر، هذه كانت خصوصية المجتمع الغرناطي الذي كان متسامحا، وتجدر الإشارة إلى المظهر الإسلامي هو الغالب على مظاهر حياتهم الاجتماعية وأنهم كانوا يميلون في البعض منها إلى عادات الإسبان.[3]

مكن التسامح الذي لقيه اليهود والنصارى بغرناطة من تبوء مناصب سامية في كنف السلطة، ومنه نقول بأن التسامح قد وصل أوجه خلال عصر الطوائف بالأندلس عامة وغرناطة خاصة الذين تعاملوا مع أهل الذمة من اليهود والنصارى وفقا لأحكام الشريعة الخاصة بأهل الذمة، وأعطوهم حقوقهم والتزموا عليهم واجباتهم من غير تشدد أو تفريط هذا ما جعل الكثير منهم يعتنقون الدين الإسلامي القائم على التسامح والعدل والحرية.

[1] – رياض أحمد عبيد ال لعني، الاحوال العامة في مملكة غرناطة 635-897هـ/1237-1498م، الجامعة الإسلامية، ع 9، 2010م، م17 ، 345.

[2] – محمد عيساوة، المرجع السابق، ص 357.

[3] – رياض أحمد عبيد العاني، المرجع السابق، ص ص 357-358.

الفصل الثالث

صور من اللقاءات العلمية بين المسلمين وأهل الذمة

المبحث الأول: الردود العلمية والمناظرات.

المبحث الثاني: انخراط أهل الذمة في الحياة الثقافية العامة.

المبحث الثالث: أهل الذمة في أشعار الأندلس.

المبحث الأول: الردود العلمية والمناظرات.

تعتبر المناظرات أحد أروع إنتاجات الفكر والمنطق وأفضل الوسائل للإقناع والرد لأن النفس البشرية تميل إلى فهم الأفكار بشكل أفضل حتى تتعرف على نقيضها، فلولا الظلام لما عرف معنى النور ولولا الشر لما عرف معنى الخير، وهذا هو تمام جوهر المناظرات التي تبنى أساسا على الإقناع بصحة رأي إما لإفساد الرأي الآخر، وكانت المناظرات ومازالت أحد أقوى سبل الإقناع بالمحاورة.

تعريف المناظرة:

المناظرة:

من النظير أو النظر بالبصيرة، واصطلاحا هي النظر بالبصيرة في التسمية بين شيئين أي إظهار الصواب.[1]

والمناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظر كما فيه معا كيف تأتيانه والتناظر: "التراوض في الأمر، ونظيرك الذي يراوضك وتناظرهن وناظره، والنظير المثل وقيل المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي منك" ويقال أيضا: ناظرت فلانا أي صرت نظرا له في المخاطبة، وناظرت فلانا بفلان أي جعلته نظيرا له. وعرفها ابن عبد البر بأنها المعارضة وطلب الحجة ومواضع الصواب.[2]

ويقول ابن منظور في كتابه لسان العرب: التناظر أي الرواض في الأمر، والنظائر أي جمع نظيرة وهي مثل والشبه في الأشكال، الأخلاق، الأفعال، الأقوال، ويقال: لا تناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.[3]

[1] – أبي حسن الجرجاني، انفتاح الدعوة، تح: فرحات الدشوري، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، ط1، 1986، ص 111.

[2] – خالد بن ناصر الغامدي، المرجع السابق، ص 443.

[3] – جمال الدين ابن منظور، المصدر السابق، مج 13، ص 292.

وقال النظر المثل وأصله المناظرة كأنه ينظر كل منهما إلى صاحبه فيناديه، والمناظرة المباحثة والمباراة في النظر والنظر البحث، وهو أهم من القياس لأن كل قياس نظر وليس العكس.[1]

غاية المناظرة والمقصد منها:

عند الإمام الشاطبي في الكلام والمناظرة والفائدة منها، ومدى شرعيتها يشدد على أن: "الخصمين إما أن يدفقا على أصل يرجعان إليه أم لا؟، فإن لم يتفقا على شيء لم تقع بمناظرتها فائدة بحال أو إذا كانت الدعوة لابد لها من دليل، وكان الدليل عند الخصم متنازعت فيه، فليس عنده بدليل فصار الإتيان به عبثا لا يفيد فائد ولا يحصل مقصودا، ومقصود المناظرة رد الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه، لأن رده بغير ما يعرفه من باب تكليف ما لا يطاق"[2]

الجدل:

لغة:

أصل كلمة الجدل هو من الشدة والغلبة واستعملت في المناظرة والمخاصمة، لأنهما يحتاجان إلى قوة في الكلام والحجج.[3]

اصطلاحا:

هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة، ويكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال.[4]

---

[1] – المناوي عبد الرؤوف، التوفيق على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1410هـ/1990م، ص 326.

[2] – خالد بن ناصر الغامدي، المرجع السابق، ص 445.

[3] – خالد بن عبد الله القاسم، الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، دار المسلم، الرياض، ط1، 1414هـ، ص 105.

[4] – المرجع نفسه، ص 105.

وبالتالي فإن الجدل ورد في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** ﴾[2]

مناظرة ابن حزم الأندلسي مع اسماعيل بن يوسف النغرالي اليهودي:

من مظاهر تسامح المجتمع الإسلامي مع معايشتهم من النصارى واليهود، ما نشهده في هذا العصر من حوارات دينية، نذكر منها: حوار ابن حزم ورسالته في الرد على ابن النغريلة اليهودي، وقبل التطرق إليها لابد لنا أن نعطي لمحة عن هاتين الشخصيتين:

1-ابن حزم الأندلسي:

اسمه:

هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد عالم الأندلس في زمانه وأحمد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة سنة 384هـ/994م، ونشأ فيها كان من أصحاب الجاه الواسع.[3]

أما **كنيته:** أطلق مترجموه على أن كنيته أبو محمد.[4]

نشأ ابن حزم في بداية أمره في جو ساعد على بروز مزاياه النفسية والفكرية، فظهرت عبقريته متعددة النواحي، وعاصر ابن حزم عصر الخلافة فقضى في قرطبة شبابه، وتخرج من جامعتها وعلى

[1] – سورة النحل، الآية: 125.

[2] – سورة العنكبوت، الآية: 46.

[3] – ابن حزم (ت406هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، ت548هـ، مكتبة السلام العالمية، دط، دت، ج1، ص 03.

[4] – محمد عبد الله صعيليك، الإمام ابن حزم الظاهري إمام أهل الأندلس، دار القلم، دمشق، ط1، 1413هـ/1995م، ص16.

أيدي أساتذتها، فقد تلقى فيها العلم عن شيوخه أمثال أحمد بن الجسور، ويحي بن مسعود، ويوسف بن عبد الله القاضي.[1]

صفاته:

في هذه العجالة صفات أبي محمد بن حزم والتي ذكرها الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله اتصف بصفات ومنها: قوة البديهية الحاضرة، عمق التفكير والغوص في الحقائق –الصبر– الجلد– المثابرة– الإخلاص– والصراحة في الحق.[2]

ويعد ابن حزم الأندلسي من أعظم المفكرين المسلمين الذين نبغوا في الأندلس بشكل خاص، والعالم الإسلامي بشكل عام، حيث بلغت مؤلفاته عددا كبيرا من الكتب في فنون المعرفة البشرية، مثل الفقه، والتاريخ، وعلم الأخلاق ومقارنة الأديان والأنساب، والشعر وغيرها.[3]

أشعاره:

وللغمام أبي محمد رضي الله بديهة سريعة في فرض الشعر، وله أشعار فمن شعر يصف ما أحرقه له ابن عباد من كتبه قوله:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي وينزل أن أنزل ويدفن في قبـــــري.[4]

وفاته:

توفي الإمام ابن حزم في آخر نهار الأحد ليلتين باقيتين من شعبان ست وخمسين وأربع مائة من الهجرة (456هـ).

---

[1] – ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، المصدر نفسه،ج1، ص 03.

[2] – محمد عبد الله صعيليك، المرجع السابق، ص 38.

[3] – عبد الواحد ذنون طه، دراسات في التاريخ الأندلسي، المرجع السابق، ص 184.

[4] – ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، المصدر السابق، ج1، ص 06.

فكان عمره إحدى وسبعين عاما وعشرة أشهر وتسعة وعشرين يوما، كانت وفاة ابن حزم بعد حياة حافلة بالإنتاج العلمي، والفكري في مختلف العلوم، بمسقط رأسه قرية منت ليشم من بادية ليلة.[1]

اسماعيل بن النغريلة اليهودي:

ولد اسماعيل بن النغريلة في قرطبة سنة 383هـ/993م ودرس بها التلمود على يد الرناني حنوخ حبر الطائفة اليهودية بها، كما اهتم بدراسة الأدب العبري، وألم بمعظم علوم الوقت آنذاك واشتغل في حانوت عطارة صغيرة افتتحه أولا في قرطبة ثم انتقل على مالقة التي نزح إليها بعد استيلاء البربر عليها.[2]

والذي كان كبير وزراء طائفة غرناطة ومن قادة جيوشها ويعتبر صاحب أكبر مكانة شخصية في الأندلس.[3]

وكان لاستقرار اسماعيل بن النغريلة في مدينة مالقة، بحيث تقول الروايات اليهودية أنه كان يكتب الرسائل لسكان تلك الناصية حيث اشتهرت كتاباته بروعة البلاغة، والأناقة اللفظية، فسأل وزير حبوس ابن العريف عن كاتب تلك الرسائل، وعرف أنه إسماعيل فقابله وأعجب به وعرض عليه أن يعمل مساعدا له في خدمة أمير غرناطة حبوس فوافق اسماعيل ورحل إلى غرناطة.[4]

ذكر ابن عذارى في كتابه البيان: "وكان هذا اليهودي من أهل الأدب والشعر قدم أمره كذلك إلى أن هلك وترك"[5]

[1] – ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، المصدر السابق، ج1، ص 09.

[2] – محمد الأمين ولد آن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص ص 50-51.

[3] – لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة المصدر السابق، ج1، ص 131.

[4] – محمد الأمين ولد أن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص 51.

[5] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 264.

عندما استوزره باديس بن حبوس استهزأ بالمسلمين وأقسم أن ينظم جميع القرآن ف إشعار وموشحات يُغنى بها فأل أمره إلى أن قتله صنهاجة أصحاب الدولة بغير أمر الملك.[1]

استطاع اسماعيل بن النغرالي بفضل مهارته وكفاءاته أن يتقلد خطة الوزارة كأول يهودي نال هذا المنصب والمكانة السامية بالأندلس.[2]

ومن شعره الذي نظم فيه القرآن قوله:

نقشت في الخدّ سطرا*****من كتاب الله موزون

لن تنالوا البرّ حتى******تنفقوا مما تحبون

وأنشد له صاحب المسهب قوله: [السريع]

يا غائب عن نظري لم يغب*****عن خاطري رفقا على الصّبِّ

فما له في البعد من سلـــــوة*****عن ناظر الفكر ما يحـــــبِّ

ما أوحشت طلقة من لم يزل*****فينقل من طرف إلى قلـــب.[3]

ذكر ابن عذارى في كتابه حيث قال: إنه ترك ابنا له اسمه يوسف لم يعرف ذل الذمة ولا قذر اليهودية وكان هذا جميل الوجه حاد الذهن فأخذ نفسه بالاجتهاد في الأحوال واستخرج الأموال، واستعمل اليهود إخوانه على الأعمال فزادت منزلته عند أمر به باديس.

[1] – ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج2،ص 91.

[2] – محمد الامين ولد أن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص 52.

[3] – ابن سعيد الأندلسي، المصدر السابق، ج2، ص 92.

وكان له عيون عليه ف قصره من نساء وفتيان شغلهم الملعون بالإحسان إليهم فكان لا يخفي عليه شيء من أمور باديس بن حبوس [1]، [2] من كل ما يجري في منزله من شرب ولهو وجد وهزل إلا ويعلمه ويعلم اليهود به فلا يكاد باديس يتنفس إلا ويعلم اليهود ذلك.[3]

وكان صمويل يسر على مصالح اليهود ويعني عناية أبوية بالشيبة اليهودية يتفقد رفيقي الحال منهم ويمدهم بما يسد حاجاتهم، وكان في خدمته كتاب ينسخون المشنا والتلمود، فكان يوزع نسخها جوائز على التلاميذ الذين لا يملكون شراءها.[4]

حوار ابن حزم مع النغريلة اليهودي (384-456هـ/994-1063م):

لقد أبدى اليهود عدائهم الشديد للإسلام منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم فحاول اليهود بكل السبل إفساد عقيدة المسلمين، [5] وذلك مصداقا لقوله تبارك وتعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾[6]

وقد بين القرآن الكريم جوانب من تآمر اليهود على النبي والمسلمين وتحالفهم مع الكافرين في قوله تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ**

---

[1] – **باديس بن حبوس**: كان من أبطال الحروب وشجعانها، يضرب به المثل في شدة القسوة كسفك الدماء وعظم ملكه بهزيمة زهير ملك المرية، وقتله واستيلائه على بيته، فكان على ما فيه من القسوة حسن السياسة منصفا حتى من أقاربه . شكت له يوما عجوزا فشكت عقوق ابنها، وأنه مد يده إلى ضربها، حضره وأمر بضرب عنقه. ينظر: ابن سعيد الأندلسي، المصدر السابق، ج2، ص 93.

[2] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 264.

[3] – المصدر نفسه ، ص265.

[4] – رينهارت دوزي، ملوك الطوائف نظرات في تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ص 26.

[5] – ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، المصدر السابق، ج1، ص 225.

[6] – سورة المائدة، الآية: 82.

كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[1]

لقد سعى الإسلام إلى نقض الكثير من المفاهيم والعقائد الفاسدة لدى اليهود دون أن ينكر عليهم أنهم أصحاب رسالة سماوية وكتاب منزل من عند الله هو التوراة، أنزله على نبيه موسى بن عمران عليه السلام، لا جدال في أن اليهود حرفوا شريعة الله، فأدخلوا عليها الكثير من الزيادة والنقصان، فبدلوا وغيروا تماشيا مع رغباتهم وأهوائهم، ولهذا وجد ابن حزم وغيره مجالا لنقد التوراة وإبطال التحريف الذي طرأ عليها والعودة إلى الشريعة الحقة.[2]

ومنه فإن هذه الرسالة قد احتوت على ردود قاسية بأدلة من القرآن الكريم، على ما أورده ابن النغريلة في كتابه من مزارع ضد الإسلام والقرآن، حيث ذهبت جرأة هذا الأخير (**ابن النغريلة**) إلى الاعتراض على القرآن، وقد أورد له ابن حزم عدة اعتراضات على القرآن حاول من خلالها شبهة التناقض عليه.[3]

ومن ثم يرى الدكتور إحسان إنما ورد في المصادر من نصوص تدل على أن ابن النغريلة هو الذي ألف في الطعن على ملة الإسلام.[4]

ومن خلال هذه الاعتراضات قوله تعالى: ﴿ **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا** ﴾[5] وقال: كيف يكون مباركا وهو يهدم البناء ويهلك كثيرا من الحيوان، ويضيف ابن حزم: "أن هذا الجاهل لولا شرب الماء

---

[1] – سورة المائدة، الآية: 77-78-79-80-81.

[2] – محمد الأمين ولدآن، النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين (421-539هـ/1003-1141م)، مذكرة دكتوراه، إش: عبد القادر بوباية، جامعة ، 2014/2013م، ص 801.

[3] – ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2003، ج3، ص 225.

[4] – ابن حزم، الرد على ابن النغريلة اليهودي، تح: إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، دط، 1480هـ/1960م، ص ص 32-33.

[5] – سورة ق، الآية: 09.

لم يكن في الأرض حيوان، وأن عناصر جميع المياه الطاهرة على وجه الأرض والمختزنة في أعماقها إنما هي من مواد القطر النازل من السماء..."[1]

-فهذه المجادلة لم تكن هي الأولى التي يخوضها ابن حزم مع ابن النغريلة، فقد التقى به من قبل ذلك في مالقة سنة 404هـ/1013م، وسأله عدة أسئلة تتعلق بالتوراة،[2] فانتقد التحريف والتبديل، الذي تعرض له من قبل اليهود مستدلا بالقرآن الكريم، وقد بين جوانب من عقائدهم الفاسدة وإعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل والهوى، والرد عليهم وأثبت التناقض والتلاعب في كتبهم.

كما كان القصد من الحوار الاقتداء بالقرآن الكريم في دعوة المخالفين إلى الإسلام امتثالا لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا**﴾[3]

ومنه لابد لعلماء المسلمين من الدفاع عن الإسلام والرد على اليهود في الأندلس ممن تطاولوا على القرآن الكريم.

لقد حاول ابن حزم الرد على ابن نغريلة في رسالة يجيب فيها عن التهم والتناقضات التي الصقها هذا الأخير (ابن النغريلة) بالقرآن الكريم، ومما قاله ابن حزم في رسالته: "وبعد فإن بعض من تخلى عليه للعداوة للإسلام وأهله، وتبيين كيده ببغضه للرسول صلى الله عليه وسلم من متدهرة[4]، الزنادقة المستمرين بأذل الملل وأرذل النحل من اليهود التي استمرت لعنة الله على المرتسمين بها،

---

[1] – ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي ، المصدر السابق، ج3، ص 225.

[2] – ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، المصدر السابق، ج1، ص 153.

[3] – سورة آل عمران، الآية: 64.

[4] – **متدهرة:** من الفعل دهر، الدهر: الأمن الممدود، وقيل الدهر ألف سنة وقال ابن سيده، وقد حكى في الدهر: بفتح الهاء وجمع الدهر أدهر ودهور، وكذلك جمع الدهر وعامله مدهرة. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص 293.

واستمر غضبه عز وجل على المنتمين إليها"، فألف كتابا قصد فيه إبانة تناقض كلام الله عز وجل في القرآن اعتزازا بالله تعالى أولا ثم بملك ضعفه ثانيا، وإستخفاظ بأهل الدين بدءا ثم بأهل الرياسة.[1]

ختم ابن حزم رسالته بقوله: "**أوردنا في هذا الكتاب من شنعهم أشياء تقشعر منها الجلود، ولولا أن الله تعالى نص علينا من كفرهم ما نص كقوله تعالى عنهم أنهم قالوا عزير ابن الله، ويد الله مغلولة، وأن الله فقير ونحن أنبياء لما استجدنا ذكر ما يقولون ستنعته وفضا عنه ولكننا اقتبسنا بكتاب الله عز وجل وبيان كفرهم، والتحذير منهم**"[2]

وقد حوت هذه الرسالة ردودا قاسية مشفوعة بالأدلة من القرآن الكريم على كل ما أورد ابن النغريلة في كتابه من مزاعم ضد الإسلام والقرآن الكريم.[3]

حيث سأله ابن حزم عن قوله التوراة: "لا تنقطع من يهود المخصرة ولا من نسله قائد حتى يأتي المبعوث الذي هو رجاء الأمم، فقال ابن النغريلة: "لم تزل رؤوس الجوالين ينتسلون من ولد داوود وهم من بني يهوذا، وهي قيادة وملك ورياسة. فقال ابن حزم: هذا خطأ لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على احد من اليهود ولا من غيرهم، وإنما هي تسمية لا حقيقة لها ولا له سيادة ولا بيده مخصرة...الخ، ثم لم يذكر له ابن حزم ماذا كان رد ابن حزم إليه.[4]

لقد اتسم الحوار الديني بين المسلمين والنصارى واليهود بالأندلس بطابع السلم الذي هو أساس التعامل الذي يدعو إليه الإسلام، على الرغم من حدة النبرة التي اتخذها أحيانا بين تلك العناصر المختلفة في الدين، فقد كان ابن حزم بأسلوبه الجدلي ميالا إلى التشدد اتجاه مخالفيه، ولا صبر في ذلك مادام هدف الحوار والجدل إبراز كل طرف معتقداته وآرائه التي وصلت أحيانا حد التناقض.[5]

---

[1] – محمد الأمين ولد آن، النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين، المرجع السابق، ص 203.

[2] – المرجع نفسه، ص 203.

[3] – محمد الأمين ولد آن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق ، ص 142.

[4] – ابن حزم، الرد على ابن النغريلة اليهودي، المصدر السابق، ج3،ص 16.

[5] – محمد أمين ولد آن، النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين، المرجع السابق، ص 205.

وهذا راجع لحدة ابن حزم في النقدن هذا الحوار الديني العنيف ضد ابن النغريلة الذي تعمق في الثقافة الإسلامية، وتمكن من السيطرة على اللغة العربية بوصفها أهم أدوات المناقشة والجدل في مجال الأديان.[1]

وهناك مجادلة حدثت بين أحد اليهود والمفتي ابن لب يسأل فيها اليهودي عن القضاء والقدر بأبيات شعرية يقول فيها:

أيا عُلماء الدِّين ذَمي دِينـــــــ كم***تَحَيرَ دَلوهُ بأوضـــــــ ح حجةً**

قَضى بضلالي ثم قال أراضِى بالقضا***فهل أنا راضٍ بالذي فيه شقوتِي**

إذا شاء ربي الكفر مني مشـــــــيئة***فهل أنا عاص باتباع المـــــشي**

وهل لي اختيار أن أخالف حـكمه***فبالله فاشفوا بالبراهين عـــــلتي**

فرد عليه ابن لب[2] بقصيدة طويلة منها قوله:

فصدَّق وآمنَ بالنبي محمدَ***فمِلَّتهُ قد عطّلت كل مـِلة**

وعوَّل على عِلم الشّريعة***دليل هَداها من كِتاب وسنَّة.[3]**

ويروي المقري إحدى المناظرات فيقول: "سمع يهودي بالحديث المأثور نِعم الإدام الخل" فأنكر ذلك حتى كاد يصرح بالفتح، فبلغ ذلك بعض العلماء فأشار على الملك أن يقطع عن اليهود الخل وأسبابه سنة قال: فما تمت حتى ظهر فيهم الجذام.[4]

---

[1] – ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص 478.

[2] – **ابن لب**: علامة وفقيه، كان له تطواف كثير، خصوصا بأرض النصارى، حيث كان يناظر الأساقفة في الدين ويظهر عليهم بسنة المسلمين. ينظر: خالد بن ناصر الغامدي، المرجع السابق، ص 474.

[3] – الونشريسي (ت914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، مج11، ص ص 266، 350.

[4] – المقري، المصدر السابق، مج5، ص 256.

وبالتالي فإن الجدل المثار ضد اليهود، وخاصة في القرن 5هـ، والمتمثلة في مناظرة ابن حزم القرطبي الظاهري لابن النغريلة اليهودي بحيث انصب هذا الجدل حول العقيدة.

لقد كانت المناظرة أو المجادلة أو المساجلة إحقاقا للحق وإقامة للحجة الإسلامية فهي واجبة الأداء، لمن يكون قادرا عليها، فالله يأمر بإيجاب المناظرة في رفق وبالإنصات، وترك التعسف والاستطالة إلى على من بدأ بشيء من ذلك فيعارض حينئذ بما ينبغي.

والمناظرة عند ابن حزم: [1] تعني المغالبة والإفحام والإلزام للوصول إلى البراهين المبطلة لأقاويل الخصم وحججه واضعا نصب عينيه الوصول إلى الحق، والحق في نظره هو الإسلام.

وقد وضع ابن حزم للمناظرة شروطا عديدة منها المعرفة الدقيقة بتاريخ ومرجعيات الخصم وسرد حججه واحدة بعد الأخرى وذكر أقاويله بحذافيرها، وبذل قصارى الجهد العقلي في المحاججة، وهو كما نعلم عمل ذهني شاق وتجنب الجدال المذموم "أي المجادلة من غير فهم ولا حجة، والتزام الجدال المحمود، أي المجادلة القائمة على الاستدلال الصحيح"[2]

[1] – محمد العربي، المساري، كراسات أندلسية، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، العدد111، الرباط، 2008، ص 43.

[2] – المرجع نفسه، ص44.

المبحث الثاني: انخراط أهل الذمة في الحياة الثقافية العامة.

لقد حظي النصارى واليهود بالأندلس بقسط وافر من الحرية، وبخاصة فيما يتعلق بإقامة الشعائر الدينية، والتعبدية وضمان الحقوق والممتلكات مما جعلهم يشعرون بقوة الانتماء إلى المجتمع الإسلامي، وهو ما ساهم في اندماجهم حتى على المستوى الثقافي.

ومن مظاهر الحياة الثقافية لدى اليهود من تعليم وترجمة بالإضافة إلى التأثير المتبادل بينهم والمسلمين وبخاصة في الجانب اللغوي.[1]

1-اللغة والترجمة:

اهتم أهل الذمة بعلوم اللغة العربية، وتعلموها مما أدى إلى مشاركتهم في هذا المجال الثقافي، نشاط واسع.[2]بحيث ترجموا الأعمال العربية إلى اللاتينية وأهم من عمل في ميدان الترجمة من اليهود نذكر: **إبراهيم بن عزار وفرح بن سالم، وإبراهيم بن يحي المتوفى نحو 531هـ/1136م.**

وقد تجلت أهمية اللغة العربية حيث كانت هذه الأخيرة هي اللغة الأدبية والرسمية في أندلس القرن الحادي عشر كما أنها تعتبر وسيلة التعبير الأساسية في حضارة يسودها مبدأ السلام والتعايش والقيم المشتركة واحترام الآخر.[3]

ومنه فإنهم قد حصلوا على حظ وافر من الثقافة، فلم يعد من العجب أن يظهر من المستعربين الإسبان عدد منهم من نبغ في الارتقاء إلى مراكز متقدمة.[4]

---

[1] – محمد الأمين ولد آن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص 98.

[2] – مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة، الجزائر، ط2، 2009، ص 182.

[3] – محمد مصطفى القباج، كراسات أندلسية، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، ع2، دب، 2006، ص ص 49-50.

[4] – محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص 174.

وكان اليهود يستملونها في حياتهم اليومية وشعروا بالحاجة الملحة إلى ترجمة نصهم الديني المقدس إلى لغتهم الجديدة "**العربية**" التي أصبحت لهم بمثابة **لغة الأم** وتخلوا بذلك عن لغة اليهود الخاصة بهم، وقد نبغ عدد من العلماء اليهود في شتى مناحي الثقافة كالعلوم الدينية، وعلوم اللغة، والأدب، والشعر، والفلسفة والترجمة وغيرها، وساهموا في الحركة الفكرية التي شهدها الأندلس بحيث تطورت بصورة خاصة خلال عصر الطوائف.[1]

حيث دخلت اللغة العربية عقول اليهود في الأندلس بعد الفتح، والتي جعلت أبناء طائفتهم في تلقي ثقافة العرب بالقبول، ويعود سبب اهتمام اليهود بتعليم أولادهم اللغة العربية إلى أنها لغة العلم والثقافة في الأندلس.[2]

كما اشتغل اليهود في وظائف الدولة المختلفة، وبخاصة في مجال الإدارة والدبلوماسية، وهو الأمر الذي ساهم في تقوية روابطهم، وهذا ما عزز من انتماءهم إلى المجتمع الذي يعيشون فيه.[3]

ومن الذين برعوا في هذا المجال اللغوي نذكر **سليمان بن جبيرول** [4]، ومروان بن جناح (384-441هـ/994-1049م) المعروف بين المسلمين بأبي الوليد مروان بن جناح.[5]

---

[1] – محمد الأمين ولد آن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص ص 99-100.

[2] – المرجع نفسه، ص 101.

[3] – محمد الأمين ولد آن، اليهود والنصارى بالأندلس من سقوط الخلافة الاموية إلى نهاية المرابطين (422-539هـ/1050-1141م)، المرجع السابق، ص 137.

[4] – **سليمان بن جبريول**: يعرف عند المسلمين بأبي أيوب سليمان بن يحي ويعرف عند النصارى بأفيسيرون avicelron، عاش في مالقة وسرقسطة، أكبر شعراء عصره، قد صب شعره على قوالب الشعر العربي، نال شهرة كبيرة بفضل مؤلفه الفلسفي المعنون بـ **معين الحياة** كتبه بالعربية. ينظر: محمد الأمين ولد آن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص ص 123-124.

[5] – المرجع نفسه، ص 107.

وأبو الفضل بن حسداي بن يوسف: اشتهر بمدينة سرقسطة لسمو همته في تحصيل العلوم والمعارف فعلا شأنه وارتفعت مكانته كغيره من رجالات اليهود الذين وصلوا أعلى المراتب في خدمة السلطة الإسلامية.[1]

إسلام إبراهيم بن سهل: وقد نكت إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الأندلسي على الشيخ أبي القاسم في تغزله:

أَموسى أَيا بَعضي وَكُلّي حَقيقَةً*****وَلَيسَ مُجازاً قَولِيَ الكُلَّ وَالبَعضا

خَفَضتَ مَكاني إِذ جَزَمتَ وَسائِلي*****فَكَيفَ جَمَعتَ الجَزمَ عِندِيَ وَالخَفضا

وهذا دليل على أن اليهود كانوا يشغلون بعلم العربية.[2]

كذلك بالنسبة للنصارى كان لهم نصيب في الجانب اللغوي، فقد اهتموا كثيرا بترجمة الكتب المؤلفة باللغة اللاتينية بحكم إتقانهم لها، مع ذلك نشير إلى ما أورده دوفورك من أن أحد النصارى في الأندلس ألف مختصرا في القانون حوالي (422هـ/1050م)، كما أقام الأسقف ميغيل Miguel في القرن الثاني عشر ميلادي، وهو بمنفاه في فاس بكتابة أناجيل بالعربية ترجمها من أعمال أسقف آخر هو إسحاق ولد فلاسكو.[3]

وأن سبب اتجاه الكثير من النصارى نحو تعلم واستيعاب اللغة والثقافة العربية كان بدافع الارتقاء بأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، لأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الأندلس.[4]

---

[1] – محمد الأمين ولد آن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص 123.

[2] – المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص ص 524-525.

[3] – محمد الأمين ولد آن، اليهود والنصارى بالأندلس من سقوط الخلافة الأموية إلى نهاية المرابطين (422-539هـ/1030-1141م)، المرجع السابق، ص 139.

[4] – علي محسن سلمان، الاندلس أرض التسامح والتعايش الديني، مجلة كلية التربية الأساسية، ع82، مج 20، ص 403.

ويشير ابن خلدون أن هذه التسمية التي أطلقت عليهم "المستعربين" لأن السمات والشعائر العربية عندما انتقلت إليهم، اصبحوا بحال يختلف عن أهل نسبهم الأصلي والخاصة اللغة العربية التي تكلموا بها.[1]

الموسيقى والشعر:

لا توجد معلومات وافية عن اهتمام اليهود بالموسيقى إلا ما كان من إشارات عابرة في المصادرة، فقد أورد صاعد الأندلسي أن أبا الفضل بن حسداي "فهو صناعة الموسيقى وحاول عملها"[2]

ويشير ابن سعيد إلى أن إسحاق بن شمعون اليهودي القرطبي من علماء الموسيقى في الأندلس من المسهب أحد عجائب الزمان في الاقتدار على الألحان وكان قد لازم ابن باجة وأحسن الغناء بلسانه ويده وأخذ طرائف كثيرة عن كلب النار واعتُبِط شابا، وكان له نظم رائق كفاك في قوله:

قم هات كأسك فالنعيم قد اتّسق*****والعود عن داعي المسرّة قد نطق

ولديكَ من حثَّ الكُؤوسَ أَزهـرا *****في الخزِّ يمَرح كالرَاكَةِ في الـــورق

والزَّهرُ زهرٌ والرياض سمـــــــاؤها*****والفجرُ نهرق والشّقَائقُ كالشَقفِ.[3]

اهتم يهود الأندلس بالشعر الذي بلغ في هذه الفترة شأوه يصعب تجاوزه، إذ يعتبر أهم الأمثلة الدالة على الانصهار والتفاعل الحضاري.[4]

حيث برز في هذا المجال عدد كبير من السفراء اليهود الذين أسهموا بنصيب وافر من الشعر تناولوا فيه كل الأغراض المعروفة في الشعر العربي، ومن بينهم يوسف بن إسحاق الإسرائيلي الذي أشار إليه ابن

[1] – ابن خلدون، العبر، المصر السابق، ج3، ص 122.

[2] – محمد الأمين ولد آن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص121.

[3] – ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص 80.

[4] – محمد الأمين ولد آن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص 109.

بسام في قصة مفادها أن الوزير الكاتب أبو عامر أحمد بن عبد الملك كان يعلم بعض التلاميذ ومنهم يوسف بن إسحاق الإسرائيلي الذي يبدوا أنه أنجب تلميذ تتلمذ على حد تعبير ابن عبد الملك وكان مع الوزير رجل من أهل قرطبة أنشده أبياتا منها:

حلفت بدرب مكة والجمال لقد وزنت كروبي بالجبال.

فلما سمعها اليهودي أنشده:

ايمم ركبانهم منعجا*****وقد ضمنوا قلبك الهودجا.[1]

ومن شعراء العبرية المشهورين: مناحيم بن سروق الطرطوشي ودوناش بن ليزط القرطبي، وإسحاق بن خلفون، وابن النغيلةن وأبو عامر يقوثيل، ويوسف بن يعقوب بن سهل، وأبو موسى بن عزرا.

ومن شعراء اليهود الذين قالوا سعرا بالعربية: إلياس بن صدود اليهود الرندي من شعراء المئة السادسة، ونسيم الإسرائيلي الأشيني شاعر ووشاح وإسماعيل اليهودي وقسمونة، التي اعتنى بتأديبها وتعليمها حتى أصبحت شاعرة.[2]

على الرغم من كونها بعيدة عن لغة القرآن، إلا أنها تميزت بالفصاحة والبلاغة وإجازة الأبيات على البديهة مع سرعة الخاطر وصدق وصراحة في التعبير عن المشاعر ربما لكونها من نساء غرناطة.[3]

الفلسفة:

لقد بلغ في مجال الفلسفة العديد من اليهودن منهم يهودا هاليفي المعروف في المصادر العربية بأبي الحسن، وقد ألف فيه عن آرائه الفلسفية دون معارضة أي سلطة إسلامية، [4]بحيث أن اليهود

[1] – محمد الأمين ولد آن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص 110.

[2] – محمد مفتاح، المرجع السابق، ص98.

[3] – سناء الشعيري، المرأة في الأندلس، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، تن: عبد الواحد الحمير، الرباط، دط، 2009، ص 73.

[4] – عبد الواحد أكسير، المرجع السابق، ص 88.

تأثروا بالفلسفة العربية، وهذا في حد ذاته دليل على تفاعل بين مسلمي الأندلس واليهود ويعد أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي أول المتأثرين بابن باجة الذي كان يراسله بكيفية مستمرة.[1]

ومنه يمكن القول أن الحياة الثقافية العامة لأهل الذمة في الأندلس خلال عصر الطوائف، تميزت بالتنوع في مختلف النشاطات، فاللغة العربية كانت وسيلة التعبير الأساسية في حضارة قائمة على مبادئ السلام والتعايش وهنا يصح القول أن الأندلس كانت فسيفساء ثقافيا.

[1] – محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 89.

المبحث الثالث: أهل الذمة في أشعار الأندلسيين.

الشعر:

قيل الشعر ديوان، وقال ابن أبي داوود: "ليس أحد من العرب إلا وهو يقدر على قول الشعر، طبع ركب فيهم، قلّ قوله أو كثر"[1]

لقد كان القرن الخامس هجري قرن ازدهار للعلوم والفنون والآداب في الأندلس، إذ يكاد يكون هذا القرن العصر الذهبي لجميع مظاهر الفكر، فكثرت المدارس بقرطبة، وكان العلم في جميعها مجانا وضمت خزائن زاخرة بالكتب من كل الأصناف، ومختلف اللغات وقد تعددت مراكز الثقافة بتعدد عواصم ملوك الطوائف.[2]

بعد أن كانت قرطبة عاصمة الخلافة من قبل مركزا واحدا ينجذب إليه الشعراء وكان من بين هؤلاء الملوك أدباء وشعراء كالمظفر وابنه المتوكل ملك بطليوس والمقتدر بن هود والمعتصم بن صمادح والمعتمد بن عياد وغيرهم وكانوا يتنافسون في استمالة الأدباء والشعراء إلى بلاطهم، ونتيجة لذلك انتعشت الحركة الأدبية في القرن الخامس حتى ليعد هذا العصر من أزهى عصور الأندلس الأدبية.[3] فكان بذلك القرن الخامس حافلا بالشعراء، ففي رواية للقزويني أن أهل الأندلس أصبحوا جميعهم شعراء، فأي فلاح يحرث بأثوار في شكل يرتجل ما شئت من الأشعار فيما شئت من المعاني.

وفي هذا القرن ظهر أشهر شعراء الأندلسن كابن زيدون (394-463هـ)، وابن عمار (422-477هـ)، والمعتمد بن عباد (421-488هـ)، وابن خفاجة (461-533هـ)، ابن حمديس (447-527هـ) وكثيرين غيرهم.[4]

---

[1] – سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي أغراضه وخصائصه الفنية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 15.

[2] – المرجع نفسه، ص 65.

[3] – المرجع نفسه، ص69.

[4] – المرجع نفسه، ص 69.

ودولة بني الأفطس في بطليموس فتعد ملجأ لأهل العلم والأدب الذين بدورهم خلدوها في قصائدهم وذكروا فيها مآثرها ومحامدها.[1]

وكان أميرها المظفر صاحب رأي في الشعر والنقد حيث لم يكن يقبل الشعر إن لم يماثل شعر المتنبي.[2]

وقد شاع في الأندلس ما يعرف بالزجل، بحيث يعد الفن الثاني في الأندلس بعد الموشح، وقد تباينت آراء المؤرخين القدامى في نشأة هذا الفن، ولو أنهم يتفقون على ان الزجل وليد البيئة الأندلسية، ومنها خرج إلى الديار المغربية والمشرقية وانتشر فيها، [3]مجالس الشعر كانت من أكثر انواع الثقافة انتشارا ورواجا في الأندلس في فترة ملوك الطوائف بخاصة ومن هنا كان هذا الزمان عصرا عظيما للشعر والشعراء، بفضل التسامح الذي كان سائدا مع أهل الملل الأخرى من نصارى ويهود بحيث كان لهم النصيب من هذه القصائد الشعرية.

لقد كان ابن النغريلة يسير على هدى الأنبياء والحكماء من اليهود وقادته عبقريته الإبداعية بين المعارف اليهودية والعبرية وبين الأدب العربي والكتابات التلمودية.[4]

ولهذا تقرب منه الأدباء والشعراء لينالوا منه الحظوة وآخرون وناصبوه العداء وضمنوها قصائدهم الشعرية، منهم ابن إسحاق الالبيري:

وَقَد قَسَّموها وَأَعمـــالَها فَمِنهُم بِكلِّ مَكانٍ لَعـين

وَهُم أُمَناكُم عَلى سِرِّكُم وَكَيفَ يَكونُ خَؤونٌ أَمـين.[5]

---

[1] – عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المصدر السابق، ص 128.

[2] – ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، ق2، م2، ص 641.

[3] – أ.ج. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تح: حسين مؤنس، القاهرة، دط، 1955م، ص 143.

[4] – عمر بوخاري ، البربر في الأندلس في عهد الطوائف خلال القرن 5هـ/11م، المرجع السابق، ص 239.

[5] – ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 232.

ومن أولئك الشعراء المسلمين الذين تملقوا وسألوا عطاياه إبن خيرة القرطبي المشهور **بابن المنقتل** الذي مدحه بقصائد عدة منها قوله:

قَرنَ الفَّضائل والفواضِلِ فشَأى الأواخـــر والاوائل

سَقطُوا برفعة فصـــله كالشَّمس في شرف المناقل

هذا ابن يُوسف الذي ورثَ الفضَائل عن فــواضِل

شرفُ الزمان بمــثلهِ شرف الأسنة بالعـــــوامل

من لم يلد بجـــنابه لم يأمنْ الدَّهر المـــــخائلِ

متقلدٌ بسيفِ العـلا والمكرماتِ له حـــــصائلِ.[1]

ولم نسمع بأن ابن المنقتل المسلم قتل لأنه ذكر حقا أو باطلا أنه اعتنق اليهودية عندما قال:

أدبن بدين السبت جهرا لديكم وإن كنت في قومي أدين به سرا.[2]

وقد اعتكف ابن ميمون على مدح وزير غرناطة اليهودي وهو القائل:

صابح محياه تلقِ النجحِ في الأملِ وانظرْ بنَاديه حسنُ الشمس في الحمل

ما إن يلاقي خليلٌ فيه من خــلل وكلما حال صرف الـــــــدهر لم يحل. [3]

وفيه يقول أيضا:

إذا مدحت فلا تمدحُ سوه فـــــفي يمناهُ بحر محيطٍ للـــــــــعفاة زخر

يصفَي إلى المدح من جود ومن أدب كمشتكي الجدب قد أصفى لعوب مطر.[4]

---

[1] – ابن بسام الشنتيري، المصدر السابق، ج1، ص 476.

[2] – محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 164.

[3] – **ابن ميمون:** فهو ابن الفراء الاخفش أصله من القيذاق من قلعة بني سعيد، عاش في قرطبة وفيها تأدب، ثم عاد إلى غرناطة. ينظر: محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 108.

[4] – المرجع نفسه، ص 108.

وقيل ايضا في ابن النغريلة:

تحكمت اليهود على الفروج وتاهت بالبغال والســـــروج

وقامت دولة الأنذال فـــينا وصار الحكم فينا للعـــــلوج

فقل للأعور الدجال هـــذا زمانك إن عزمت على الخروج.[1]

ويقول أيضا أبو إسحاق الألبيري:[2]

فَعَزَّ اليَهودُ بِهِ وَانتَـخَوا وَتاهوا وَكانوا مِنَ الأَرذَلين

فَكَم مُسلِمٍ فاضِلٍ قانِتٍ لِأَرذَلِ قِردٍ مِنَ المُشرِكين

فَصارَت حَوائِجُنا عِـندَهُ وَنَحنُ عَلى بابِهِ قائِمون .[3]

وفي قصيدة أخرى لابن المنقتل يمدح ذوي المناصب من يهود غرناطة:

بدور ولكنا أمنا ســـــــــــرها بحور ولكن لا نرى دونـــها برا

غيوث إذا ما الحل شب ببلـــدة كهوف إذا جاءت بنا أرض كبرى

يخالون من فرط الحياء أذلـــــة وترتج أحشاء الملوك دُعـــــرا

ومن لم يك للنظم والنثر محسنا فإن نداهم علم النظم والنـــثرا.[4]

أما من الشعراء اليهود الذين نظموا قصائد في مدح اسماعيل بن النغريلة ابن جبيرول الذي قال فيه قصيدته بالعبرية مطلعها:

من ذا الذي يشبه الفجر إذا انفـــلق

وينير كالشمس مشرقا جلـــــــــيا

---

[1] – ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج2، ص 331.

[2] – أبو إسحاق الألبيري، توفي نحو عام 460هـ-1067م، رأى ثورة صنهاجة، أهل غرناطة على اليهود. ينظر: محمد عنان، دول الطوائف، المرجع السابق، ص 13.

[3] – محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 129.

[4] – ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص 477.

ذو مجد وذو شرف كالأمراء والنبلاء.[1]

وقد كان النصارى يقرعون النواقيس وهي بمثابة حرية التعبير والإفصاح عن العقيدة دودن أن يمس أحدهم بأذى أو يشعر بمضايقة من قبل المسلمين وقد أشار ابن حزم في كتابه "طوق الحمامة" إلى هذه الشيفرة، في قوله:

أتيتني وهلال الجو مطـــــــلع قبيل قرع النصارى للنواقيس

ولاح في الأفق قوس الله مكتسيا من كل لو كأذناب الطواويس.[2]

كما صور لنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حداد المتوفى بألمرية سنة 480هـ/1087م، صور لنا مظاهر احتفالات النصارى بعيد الفصح ومشاهدة المسلمين لذلك.

أُفْصِحُ وَحْدِي يومَ فِصْحٍ لَهُمْ بَين الأَرَيْطَى والدُّوَيْحاتِ

وقد أَتَوْا منه إلى مَوْعِـــدٍ واجتمعوا فيه لِمِـــيْقاتِ

بِمَوْقِفٍ بين يَدَيْ أُسْـــقُفٍ مُمْسِكِ مِصْـباحٍ ومِنْساةِ

وكلِّ قَسٍّ مُظْهِرٍ للتـــُّقَى بآي إنْصَـــــاتٍ وإخباتِ

وعينُهُ تَسرَحُ في عَيْنِـــهِمْ كالذِّئب يَبْغي فَرْسَ نَعْجاتِ.[3]

ويقول الشاعر حسان بن أبي عبدة في المهرجان وهو ما يطلق عليه العامة العنصرة:

أرى المهرجان قد استشرى غداة بكى المزن واستعبرى

وتسربلت الأرض أفوافـــها وجللت السندس الاخضرا

وهز الرياح سنا بســـــرها فضوعت المسك والعــنبرا

---

[1] – محمد الأمين ولد آن، تاريخ اليهود في الأندلس، المرجع السابق، ص 57.

[2] – ابن حزم، طوق الحمامة بين الألفة والآلاف، تح: الطاهر أحمد المكي، دار الحلال، الرياض، دط، 1914، ص 133.

[3] – ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص 439.

تهادى به الناس ألـــطافه وسام المقل به المـــــكثرا.[1]

كما أورد الونشريسي مناظرة بين أحد اليهود والمفتي ابن لب يسأل فيها اليهودي عن القضاء والقدر في أبيات شعرية:

أيا علماء الدين ذمي دينـــــــكم تحير دلوه بأوضح حـــــــجة

إذا ما قضى ربي بكفري بزعـــمكم ولم يرضه مني فما وجه حـيلتي

قضي بضلالي ثم قال أرضا بالقضاء فهل أنا راضي بالذي فيه شقوتي

دعاني وسد الباب دوني فهـــل إلى دخولي سبيل بينوا قضـــــــيتي

إذا شاء ربي من الكفر مشـــــيئة فهل أنا عاص باتباع الـــــمشيئة

وهل لي اختيار ان أخالف حـكمه فيا الله فاشتفوا بالبراهـــين عليّ

فرد عليه بجواب طويل من أهم ما تطرق إليه دعوته إلى الإيمان بالرسالة المحمدية:

فصدق وآمن بالنبي محـــــمد فملته قد عطـلت كل ملة

وعول على علم الشريعة والتمس دليل هداه من كتاب وسنة.[2]

وأمام هذا الوضع الذي آل إليه المسلمين وظلم ذوي السلطان والجاه، دفع بالشاعر أبا إسحاق الألبيري حينما اتخذ من حاكم غرناطة باديس بن حبوس حين استوزره يهوديا، وقال مخاطبا باديس:

أَباديسُ أَنتَ اِمرِؤٌ حـاذِقٌ تُصيبُ بِظَنِّكَ نَفسَ اليَقين

وَكَيفَ تُحِبُّ فِراخَ الـــزِنا وَهُم بَغَّضوكَ إِلى العالَمين

وَكَيفَ اِستَنَمتَ إِلى فارِسٍ وَقارَنتَهُ وَهُوَ بِيسَ القـَرين.[3]

[1] – محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 101.

[2] – مسعود كواني، المرجع السابق، ص 180.

[3] – محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 129.

وقد اختار هذا موضوعا ليصب غضبه على الحاكم من جهة وعلى اليهود من جهة ثانية وقد أحدثت قصيدة الألبيري ثورة عارمة في صنهاجة إطاحة باليهود وشردتهم وشتت شملهم وقد بدأ قصيدته مخاطبا أهل صنهاجة منبها بزلة سيدهم، حيث تخير كاتبا كافرا يهوديا مع أنه لو أراد الخير لاختاره من المسلمين، فعز اليهود وتعاظموا وتاهوا ومن أراذل الخلق ونالوا ما يتمنونه وجازوا الحدود فحان هلاك المسلمين دون أن يشعروا بذلك فقال:

أَلا قُل لِصِنهاجَةٍ أَجمَعين بُدورِ النَدِيَّ وَأُسـدِ العَرين

لَقَد زَلَّ سَيِّـــدُكُم زَلَّةً تَقِرُّ بِها أَعيُنُ الشامِـــتين

تَخَيَّرَ كاتِبُهُ كـــــافِراً وَلَو شاءَ كانَ مِنَ المُسلِمين.[1]

وقيل أيضا:

وَقَد نَكَثوا عَهدَنا عِندَهُم فَكَيفَ تُلامُ عَلى النـاكِثين

وَكَيفَ تَكونُ لَهُـم ذِمَّةٌ وَنَحنُ خُمولٌ وَهُم ظاهِرون

وَنَحنُ الأَذِلَّةُ مِن بَينِـهِم كَأَنّا أَسَأنا وَهُم مُحسِـنون

فلا ترض فينا بأفعـالهم فأنت رهين بما يفـــعلون

وراقب إلهك ف حـزبه فحزب الإله هم المفكـون.[2]

وبعد ذلك نلمس عند بعضهم روح التحدي في إقبالهم على قول الشعر والنبوغ فيه، حتى ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، كمحاولة ابن النغريلة وزير ابن حبوس نظم آيات القرآن في أشعار وموشحات تغنى بها كقوله:

[1] – أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيني، ديوان الألبيري، تح: محمد رضوان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1991، ص 108.

[2] – رينهارت دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ص ص 78-79.

نقشت في الخد سطرا من كتاب الله موزون

لن تنالوا البـــــرّ حتى تنفقوا مما تحـــبون .[1]

وبهذا نقول أن بفضل التسامح الفكري الذي نعم به أهل الذمة ووصولهم لأعلى المقامات والمناصب العليا في الدولة كالوزارة والكتابة وغيرها، ما جعل الأندلسيين يدرجونهم ضمن قصائدهم وأبياتهم الشعرية ويجعلوا لهم منها النصيب الوافر والأكبر.

[1] – محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 99.

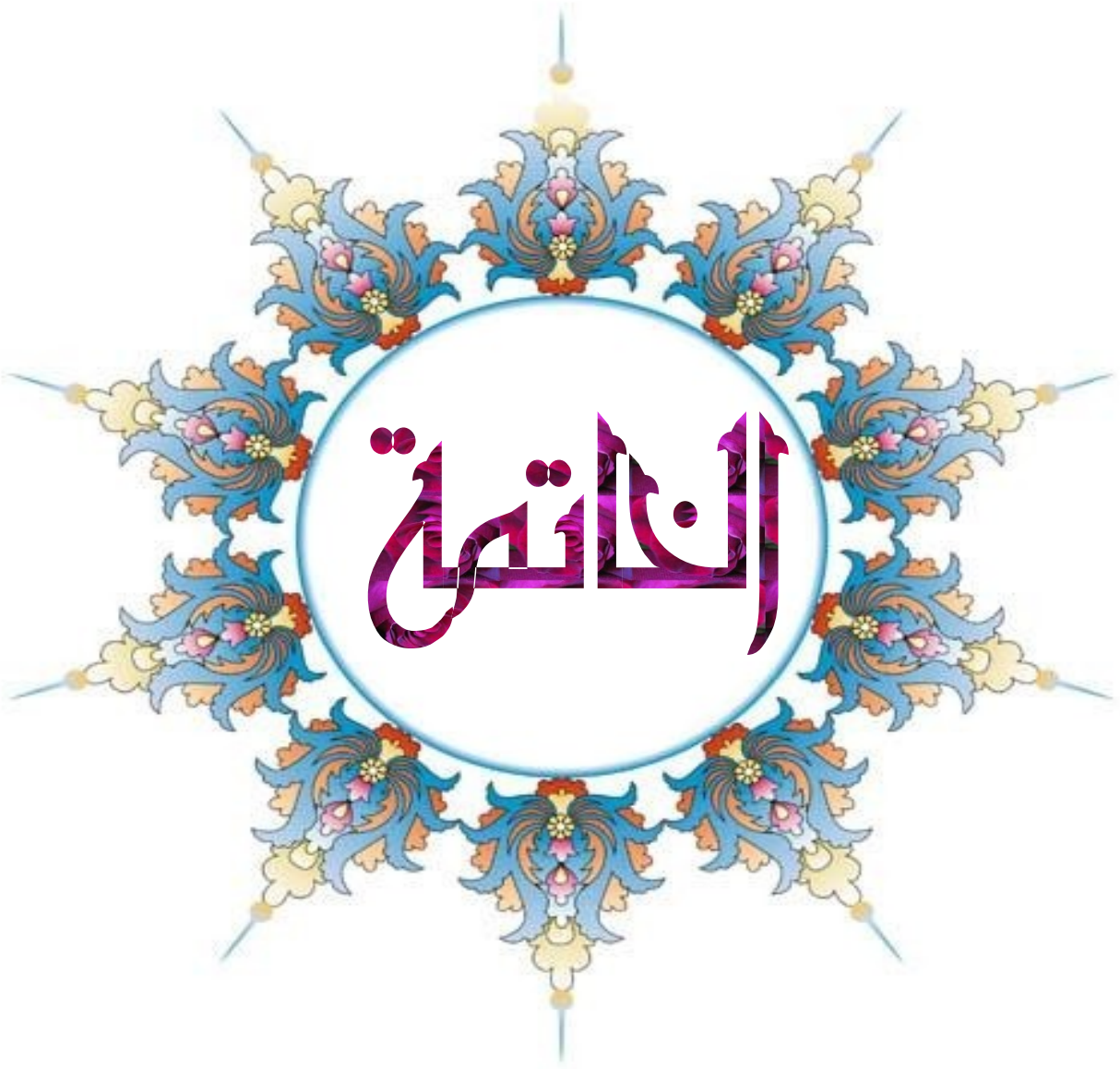
الخاتمة

خاتمة:

بعد دراستنا لموضوع التسامح الديني والفكري خلال عصر الطوائف 422هـ 1031م توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات في مقدمتها، وقبل أن نتطرق لذلك لابد لنا أن نشير المجتمع الأندلسي كان عبارة عن فسيفساء بشرية متعددة الأعراق تلك الفسيفساء تناغمت بفضل الرعاية لها فكان منهم العرب، و البربر، والصقالبة، و المولدين، واليهود، عاشت في ظل الحكم الإسلامي.

بدأ الضعف يدب في جسم الدولة الأموية بعد موت أبي عامر محمد المعافيري الملقب بالحاجب المنصور سنة 392هـ/1002م وتقلد الملك بعده ولداه عبد الملك المظفر 399هـ/1008م، وعبد الرحمن المأمون 399هـ/1009م، وكان كل من هؤلاء يلقب بالحاجب بينما كان الخليفة هشام الثاني المؤيد 366هـ-399هـ/ 976م-1009م في أيديهم حمية واشتعلت الفتنة بعد عبد الرحمن وغرقت قرطبة في أنهار من الدماء، وظلت في بلبلة واضطراب، إلى أن غادرها هشام الثالث المعتمد سنة 422هـ/1031م، فكان آخر خليفة أموي، وفي خضم هذه الأحداث فقد كان لعناصر المجتمع الأندلسي الدور الفعال في المشاركة في هذه الفتنة خاصة البربرية منها، وبهذا سقطت الدولة العامرية، وقدمت لاضمحلال الخلافة الأموية بالأندلس وانحلالها وانقطعت الخلافة إلى دويلات متعددة سمي القائمون عليها بملوك الطوائف.

في غمرة التشكل البشري في البيئة الأندلسية يظهر الاختلاف الديني الذي جعل المسلمين يعايشون غيرهم من ذوي العقائد الأخرى لاسيما اليهود والنصارى، الذين وجدوا متنفسا جديدا مريحا مغايرا تماما للذي كانوا عليه إثر حكم القوط.

من مظاهر التسامح مع غير المسلمون ما كنوا يتمتعون به من حرية دينية تتيح لهم أن يؤدوا عباداتهم وطقوسهم في أماكنها ما بين طوائفهم من اختلاف.

أصبحت الأندلس تمثل طابقا للتعايش الإنساني من خلال الترابط بين المسلمين الذين شاركوا المسيحيين واليهود أعيادهم، كأعياد العنصرة والمهرجان، والفصح وغيرها، حيث نعموا بحرية العقيدة وأدوا طقوسهم وشعائرهم الدينية، وكانت ثمرة ذلك اعتناق الكثير منهم الدين الإسلامي طواعية دون إكراه أو اضطهاد.

شكل أهل الذمة جزء هام في المجتمع الأندلسي واحتلوا مكانة ومناصب عالية في الدولة الإسلامية خلال عصر الطوائف مثل: اليهودي صاموئيل بن النغريلة وابنه يوسف في ظل الدولة الزيرية في بلاط حبوس الزيري بغرناطة، وقد كانوا على درجة عالية من الثقافة العربية الأدبية شعرا ونثرا، وعاش هؤلاء في غرناطة بسلام كما في سائر المدن الأندلسية يزاولون شعائرهم الدينية بحرية تامة مقابل دفع جزية للمسلمين، تماشيا مع الشريعة الإسلامية كونهم من أهل الكتاب، وهكذا احترمهم حكام غرناطة وعاملوهم معاملة حسنة.

أسهم أهل الذمة في إثراء الحياة الفكرية بالأندلس، وذلك من خلال التلاقح الفكري بين الذميين والأندلسيين، وذلك من خلال الإسهام الفكري والعلمي لليهود والنصارى بالأندلس.

من مظاهر التسامح الفكري للأندلسيين مع معايشيهم من النصارى واليهود ما نشهده في هذا العصر من حوارات دينية ومناظرات منها: مناظرة ابن حزم ورسالته في الرد على ابن النغريلة.

كان جو التسامح يتيح لأهل الذمة أن ينخرطوا في الحياة الثقافية العامة من أدب وشعر ولغة وفلسفة وموسيقى وغيرها، وقد ظهر نوابغ كان لهم تميز وتفرد في شتى أنماط الدراسات على نحو ما

تكشف الأسماء اللامعة التي أبدعت في هذه المجالات، وكان لها صداها أمثال: سليمان بن جبيرول، أبو الفضل بن حسداي بن يوسف، اسماعيل بن النغريلة.

تطورت الحركة الشعرية في عصر الطوائف باهتمامهم بالشعر والشعراء، هذا ما أدى لازدهار حركية الفعل الثقافي، بحيث ضمن الأندلسيين في قصائدهم الشعرية أهل الذمة، وكان لهم نصيب كبير في ذلك.

وبالتالي فإن عصر ملوك الطوئف تراث ضخم في توسيع حركية الفكر باعتبار أن الأرضية كانت مواتية للتأليف والإبداع، واستطاعوا أن يرفقوا بين جميع العلوم، وأن يحققوا في ذلك نشاطا فكريا رائعا.

إن ثقافة التسامح تشكل صمام الأمان لعالم متقدم ومزدهر ومطمئن، كما تشكل الأساس المتين لعلاقات طيبة على مستوى الأفراد والمجتمعات، لذا من الواجب نشر قيم وفضائل التسامح حتى تصير ثقافة عامة.

وفي الأخير نقول بأن السلطة الإسلامية قد برهنة في أغلب الأحيان على عقلها المتسامح دينيا وفكريا اتجاه رعاياها من غير المسلمين، ومهما يكن ورغم ما تطرقنا إليه يبقى الموضوع يحتاج إلى المزيد من البحث لإثراء هذا النوع من البحوث التاريخية.

الملاحق

الملحق رقم 01:خريطة عامة للأندلس.

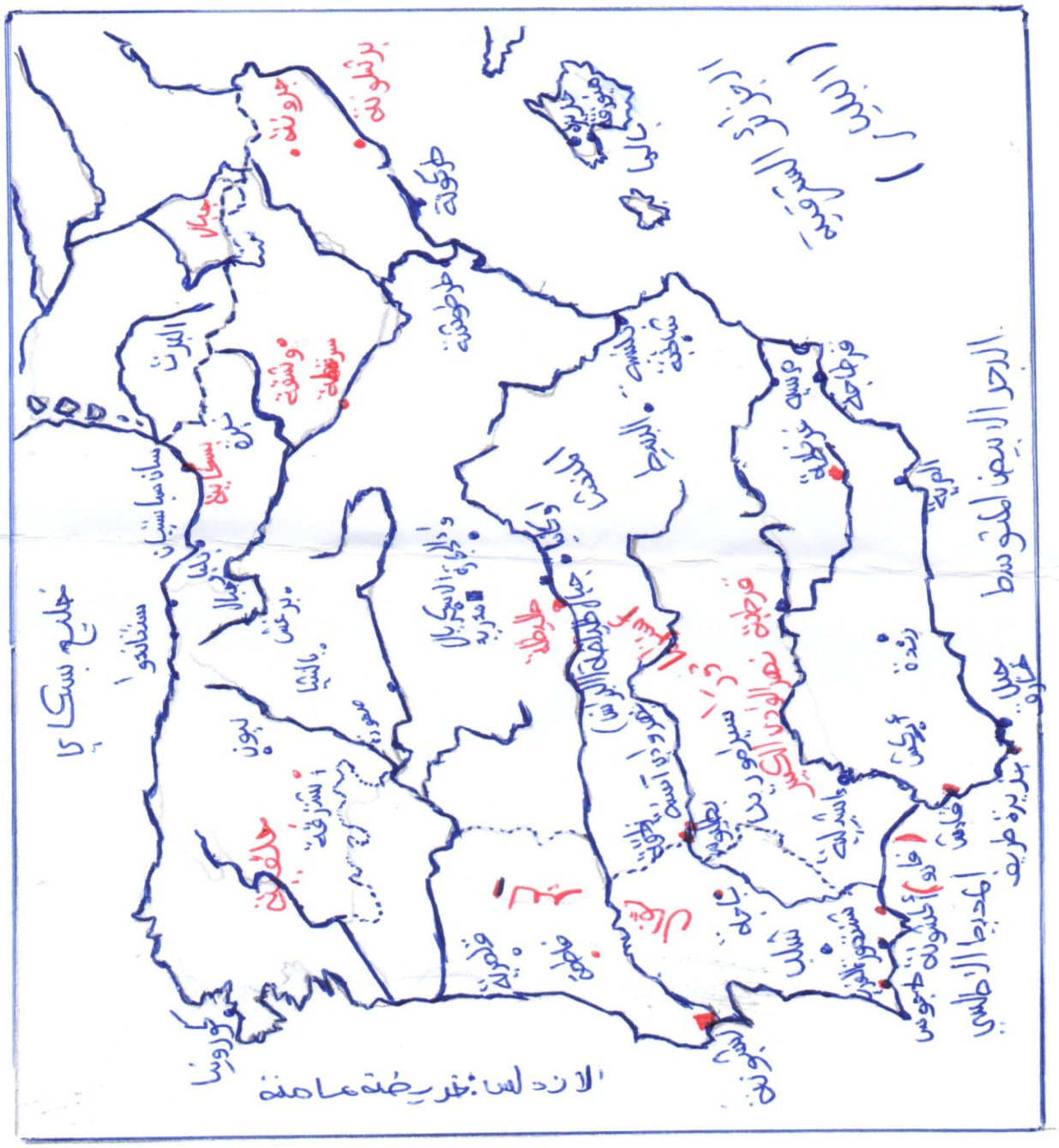

الملحق رقم 02:[1] اليهود في الأندلس.

لقد عرفت إذا اليهودية الأندلسية في مجموعها حياة اكثر رخاء وأكثر اطمئنانا، كما لم تعرفها في مكان آخر، ونظرا للوضع القانوني المتسامح فإن يهود الأندلس لعبوا دورا سياسيا في الحياة الاقتصادية المزدهرة في البلاد كما كان لهم دورهم في الشؤون العامة.

ويرجع الفضل إليهم في جزء لا يستهان به من الازدهار الشامل ولقد تركت لهم سعة اليد فراغا للدرس وليبلغوا درجة عليا في الثقافة الشاملة المتمثلة في تلك العهود في العلوم والآداب العربية التي ملكوها فأثروا تأثيرا كبيرا في تطور الفكر اليهودي، وأنماط تعبيره المختلفة، مما ساهم في إغناء هذا الفكر.

[1]– مسعود كواني، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، ط2، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 248.

الملحق رقم 03:[1] غرناطة في العصر الإسلامي.

[1]– مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 264.

الملحق رقم 04:[1] رسالة ابن حزم في رده على ابن النغريلة.

"أللهم إن نشكوا إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قري عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم، وبجمع أموال ربما كانت سببا إلى انقراض أعمارهم وعونا لأعدائهم عليهم، وعن حياطة ملتهم التي عزوا في عاجلتهم وبها يرجون الفوز في آجلتهم حتى استشرف لذلك أهل الملل والذمة، وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك بما لو حقق النظر أرباب الدنيا لاهتموا بذلك ضعف همنا، لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء والحمية للملة الغراء، ثم هم مترددون بما يؤول إليه إهمال هذا الحال من فساد سياستهم والقدح في رياستهم، فالأسباب أسباب، وللمداخل إلى البلاد أبواب، والله أعلم بالصواب، وقد قال علي ابن عباس:

لا تحقرن سبيـــــــــــبا كم جرّ أمرا سُبـــــــــيب

وقال أبو نصر ابن نباتة:

فلا تحقرن عدوا رمـــــاك وإن كان في تصاعد به قصر

فإن السيوف تجذّ الرقاب وتعجز عما تـــــــنال الإبر

لاسيما إن كان العدو من عصابة لا تحسن إلا الخبث مع مهانة الظاهر فيأنس المغتر إلى الضعف البادي، وتحت ذلك الختال والختر والكيد والمكر، كاليهود الذين لا يحسون شيئا من الحيل ولا آتاهم الله شيئا من أسباب القوة وإنما شأنهم الغش والتخابث والسرقة، على التطاول والخضوع، مع شدة العداوة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم"

[1]– مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 264..

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

المصادر:

1-ابن الأبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار النشر دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985.

2-أحمد فهمي محمد، الملل والنحل، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1413هـ/1996م.

3-الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: إبراهيم الأبياري، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دط، 1983م.

4-أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيني، ديوان الألبيري، تح: محمد رضوان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1991.

5-ابن الأصبع عيسى بن سهل، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي للدول الإسلامية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

6-بالنثيا أ.ج ، تاريخ الفكر الأندلسي، تح: حسين مؤنس، القاهرة، دط، 1955م.

7-ابن حزم (ت 406هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، ت548هـ، مكتبة السلام العالمية، دط، دت، ج1.

8-ابن حزم، الرد على ابن النغريلة اليهودي، تح: إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، دط، 1480هـ/1960م.

9-ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2003، ج3.

10-ابن حزم، طوق الحمامة بين الألفة والآلاف، تح: الطاهر أحمد المكي، دار الحلال، الرياض، دط، 1914.

11-الحميدي ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح و تع: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008.

12-أبو حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، دط، 1415هـ/1994م.

13-ابن الخطيب لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1393هـ/1973م، ج1.

14-ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ط1، 2004.

15-ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تح: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009.

16-ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 3، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، 1983، ص ص 179، 106.

17-دوزي رينهارت ، المسلمون في الأندلس، تر: حسن حبشي، ج 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دب، دط، 1994، ج1.

18-الدينوري حنيفة أحمد داود ، الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، مكتبة المدني، بغداد، دط، دت.

19-ابن سعيد الغرناطي الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

20-ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان وليفي بروفنسال، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.

21-ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس)، تح: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2011.

22- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1980.

23-مجهول، أخبار مجموعة عن فتح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1981.

24-المسعودي أبي الحسن بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به كمال حسن رعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ج1.

25-المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1388هـ/1968م، ج2.

26-أبي المناوي عبد الرؤوف، التوفيق على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1410هـ/1990م.

27-نهال خليل الشرابي وآخرون، تاريخ الخلافة الأموية، دار الفكر للنشر، ط1، 2010.

28-ابن الونشريسي (ت 914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، مج11.

29-ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، دط، 1404هـ-1984م، ج4.

المراجع:

30-إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت.

31-أرسلان شكيب ، الحلل السندسية في الاخبار والآثار الأندلسية، منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت، دط، دت، ج1.

32-أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسات العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، دت.

33-بشير العامري محمد ، دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012 .

34-بوخاري عمر ، الإمارات البربرية الصغرى في جنوب الأندلس وعلاقتهم بملوك الطوائف، القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي، كنوز للنشر والتوزيع، د ب، دط، 2012، ص 38. حسين مؤنس، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية 711-756م، ط1، دار المناهل، بيروت، 2002.

35-جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

36-حسن الجرجاني، انفتاح الدعوة، تح: فرحات الدشوري، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، ط 1، 1986.

37-حسن ظاظا ، الفكر الديني اليهودي، دار العلم، دمشق، ط3، 1995م.

38-حسن محمد العيدروس، العصر الأندلسي نهاية دول الطوائف الثورات والحروب في بلاد الأندلس، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2011.

39-خالد بن عبد الله القاسم، الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، دار المسلم، الرياض، ط1، 1414هـ.

40-خالد بن ناصر بن سعيد الغامدي، الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى من الفتح الإسلامي (96هـ) حتى سقوط غرناطة 897هـ، مكتبة الكوثر، الرياض، ط 1، 1429هـ.

41-خالص صلاح ، إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت، دط، 1965.

42-خليل السامرائي وآخرون، تريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، (د.ت).

43-دندش عصمت عبد اللطيف ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510-546هـ/1116-1151م، دار المناهل، بيروت، ط1، 2002 .

44-دوزي رينهارت، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، تر: كامل كيلاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دب، ط1، 2012.

45-دويدار حسين يوسف ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138هـ/422م، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1999.

46-زيدون وديع، تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة، دار النهضة، بيروت، ط 4، 2011.

47-سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (399هـ-913هـ)، دار الفكر للنشر، بيروت، ط1 ،2001.

48-سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، دار النهضة العربية، ط1، 1998.

49-السعدي غازي ، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجليل، عمان، دط، 1957.

50-سناء الشعيري، المرأة في الأندلس، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، تن: عبد الواحد الحمير، الرباط، دط، 2009.

51-سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي أغراضه وخصائصه الفنية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.

52-عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91-197هـ/710-1492م)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (ط1)، 1423هـ/2002م.

53-عطية القوصي، دفاع المسلمين عن عقيدتهم في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1433هـ/2012م.

54-الشيخ محمد الحضري بك، الدولة الأموية، اعتنى به درويش جويدي، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر، ط2، 2001.

55-صكبان حاسم علي، تاريخ صدر الإسلام والخلافة الأموية، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان ، ط1، 2002.

56-العبادي أحمد مختار ، صور من حياة الحرب والجهاد، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 2000.

57- العبادي أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، دط.

58-عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1969.

59-عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، دط، 1997.

60-عبد الله حمادي، المورسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس 1492-1916م، دار اللامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.

61-عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.

62-عبد الواحد ذنون طه، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004.

63-فاطمة الشامي، تطور تاريخ العرب السياسي والحضاري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1997.

64-فخري خليل النجار، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 1432هـ/2011م.

65-كمال السيد أبو مصطفى، أسامة أحمد حماد، محاضرات في تاريخ الدولة العربية الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2000.

66-محمد الامين ولد آن، تاريخ اليهود في الأندلس، دار منال للنشر والتوزيع، دب، دط، 2013.

67-محمد العربي، المساري، كراسات أندلسية، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، العدد 111، الرباط، 2008.

68- محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس للطباعة والنشر، ط5، 2006 .

69-محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط5، 2001،6 .

70-محمد عبد الله صعيليك، الإمام ابن حزم الظاهري إمام أهل الأندلس، دار القلم، دمشق، ط 1، 1413هـ/1995م.

71-محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، دط، 1969، ج1.

72-محمد عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تر: صلاح الدين الهواري، ط 1، شركة البناء شريف الأنصاري، المكتبة العصرية، دار النموذجية، بيروت، (ط1)، 1426هـ/2006م.

73-محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر ميلادي/ الخامس الهجري، الدار التونسية للنشر.

74-محمد عيساوة، معاملة المسلمين الحسنة لأهل الذمة في الأندلس سمة بارزة من سمات التسامح والوسطية، قسم العلوم الإنسانية، عنابة، 2017.

75-محمد مصطفى القباج، كراسات أندلسية، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، ع 2، دب، 2006.

76-محمد مفتاح، الحضارة الإسلامية في الأندلس، تن: عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2009.

77-مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة، الجزائر، ط2، 2009.

78-مريم قاسم طويل، مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح 443-484هـ/1051-1091م، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ/1994م.

المعاجم:

79-ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف،دط، دت، ج1.

80-أنور محمود زناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، دار الزهران، عمان، الأردن، ط1، 2003 .

الرسائل الجامعية:

81-بوخاري عمر ، البربر في الأندلس في عهد الطوائف خلال ق 5هـ/11م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، إشراف نصر الدين بن داود، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1435-1436هـ/ 2014-2015م

82-هاشمي نجاة ، عادات وتقاليد المجتمع الأندلسي خلال عهد الدولة الأموية 138-422هـ/756-1031م، إشرا مسعود مزهودي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2016/2015م.

83-وناس خالدية بوطاقة عائشة، سياسة الأمويين نحو دول المغرب على عهد هشام المؤيد 366-403هـ/976-1013م، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر، إشرا الأستاذة سموم لطيفة، 2015/2014.

84-الأمين ولد أن محمد ، النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين 422هـ/-539هـ- 1030-1141م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، إشرا: عبد القادر بوباية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران،2013/2012.

85-بوحلوفة محمد أمين، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي 914هـ /1508م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشرا: بوركبة محمد، جامعة وهران، 2014/2013م.

86-بلحاج فاطمة الزهراء الحفيظ، جيدل فتيحة، الحياة الاجتماعية والعلمية لأهل الذمة في بلاد الأندلس من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة (8-11هـ)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ والحضارة المغرب الإسلامي، إشرا: نجيمي عيد، 1435-1436هـ/2015-2016م.

87-خميس بولعراس، الجياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف 400-479هـ/1009-1086م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف مسعود مزهودي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، باتنة، 2007/2006م.

88-بوعزة كريمة، أهل الذمة في المغرب الأوسط إسهاماتهم الفكرية ونشاطهم الاقتصادي (ق 5-9هـ/11-15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الأوسط، إشرا الأستاذ الحاج عيسى إلياس، 1434هـ/2013م.

المجلات:

89-رياض أحمد عبد الغاني، الأحوال العامة في مملكة غرناطة 625هـ-897هـ، مجلة جامعة عربة للعلوم الإنسانية، ع9، 2019.

90-سلمان علي محسن ، الاندلس أرض التسامح والتعايش الديني، مجلة كلية التربية الأساسية، ع82، مج 20.

91-بوخاري عمر، الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة أكاديمية تعنى بالدراسات والبحوث في التاريخ والمجتمع، جامعة ابن خلدون، تيارت، ع8، 2015 .

المراجع الأجنبية:

92-tolon jolan, fur upe and the Islamic world, alustory prinnretion, 2013 .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

كلمة شكر.....

الإهداء.....

قائمة المختصرات.....

مقدمة..... أ

الفصل الأول: الأندلس قبيل عصر الطوائف

المبحث الأول: العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي.....06

المبحث الثاني: الفتنة القرطبية.....14

المبحث الثالث: دور العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي في الفتنة.....20

المبحث الرابع: أوضاع الأندلس خلال 399هـ/422هـ.....26

الفصل الثاني: مظاهر التسامح الديني خلال عصر الطوائف

المبحث الأول: النشاط الديني لأهل الذمة في الأندلس.....40

المبحث الثاني: الطقوس الدينية في أشعار الأندلسيين.....47

المبحث الثالث: مظاهر التسامح في مملكة غرناطة.....53

الفصل الثالث: صور من اللقاءات العلمية بين المسلمين وأهل الذمة

المبحث الأول: الردود العلمية والمناظرات.....60

المبحث الثاني: انخراط أهل الذمة في الحياة الثقافية العامة.....72

المبحث الثالث: أهل الذمة في أشعار الأندلسيين.....78

خاتمة **87**

الملاحق.....**91**

قائمة المصادر و المراجع.....**97**

فهرس الموضوعات.....**107**